بها تجم من مباشرة ما ينبغي والشهوة وهي حركة للنفس طلبا للملايم فاعتدالها العفة
وهي ملكة بها يباشر المشتهيات على وفق الشرع والمروة وافراطها الشره والفجور
وهو ملكة بها يتناول المشتهيات مطلقا وتفريطها الخمود وهي ملكة بها يقصر عن
استيفاء ما ينبغي من المشتهيات والاوساط تحصل باستخدام الاول الاخيرين
والاطراف باستخدامهما اياه والاطراف مطلقا والاوساط المشوب بها غرض
فاسد رذائل فكل خلق مذموم ناش منها منفردا او مجتمعا بعضها او كلها وعلاجها
الكلي الاجمالي معرفة حقائق الامراض وغوائلها واسبابها واضدادها وفوائدها
واسبابها ثم معرفة وجود الامراض في نفسه بالتفتيش والتامل واختيار من ينبهه
على عيبه من اصدقاء الصدق وتفحص قول اعدائه فانهم ينظرون الى عيوبه و
يذكرونه بها والنظر الى الناس فانهم مرآة وتذكرة لكل طالب مستبصر ثم تمييز اسبابها
ثم ازالة الاسباب وارتكاب الفضيلة المقابلة والتكلف في تحصيلها اذ الامراض
تعالج بالاضداد كما ان الصحة تحفظ بالانداد ثم التعنيف بالتعيير والتوبيخ في السر
والعلانية ثم الرذيلة المقابلة فليحفظ حتى لا يتجاوز الى الاطراف الاخر ثم
الرياضات الشاقة كالنذور والايمان والعهود على التزام الاعمال الشاقة
حتى تنزع عن ما هو اسهل منها بالطيب والسهولة واستماع ما ورد في ذم سوء
الخلق اجمالا وتفصيلا الثاني سيجيء في القسم الثالث ان شاء الله تعالى واما الاول
فمنها ما خرج صف عن ميمونة بن مهران رض انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما من ذنب اعظم عند الله من سوء الخلق وذلك لان صاحبه لا يخرج من
ذنب الا وقع في ذنب وخرج طط عن عائشة رض انها قالت قال رسول الله صلعم
الشوم سوء الخلق طط صف عن عائشة رض عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من شيء

في الآله توبة الا صاحب الخلق السوء فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه طط
سق عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلق الحسن يذهب
الخطايا كما يذهب الماء الجليد والخلق السوء يفسد الاعمال كما يفسد الخل العسل
والاوساط الخالية من الغرض الفاسد فضايل فكل خلق محمود ناش منها منفردة او
(كالرياء والكبر والعجب)
مجتمعا لبعضها او من مجموعها المسمى بالعدالة فمن حصل له بكسب او طبع فليحفظه
بملازمة اهله وعدم صحبة الاشرار واباه والاسترسال في الملاهي والمزاح والمراء
وليرض نفسه بوظائف علمية او عملية فليذكر جلالته ودوامه وصفاه وحقارة
الدنيا وزوالها ونكدها وباستماع ما ورد في حسن الخلق اجمالا وتفصيلا وهذا ما سيجيء
ان شاء الله تعالى ومن الاول قول الله تبارك وتعالى انك لعلى خلق عظيم وقول النبي عليه السلام
فيما اخرجه طب عن انس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ
بحسن خلقه عظيم درجات الاخرة وشرف المنازل وانه لضعيف العبادة وانه
ليبلغ بسوء خلقه اسفل درك في جهنم حد هق حك عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق طب ز عن انس رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام
ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخرة طط عن ابي هريرة رضي قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما حسّن الله خلق رجل وخُلقه فيطعمه النار هق عن
ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال عليه السلام يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق قال وما حسن الخلق
يا رسول الله قال عليه السلام تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك وتعطي من
حرمك فعليك ايها السالك بتخلية قلبك من الرذائل وتحليتها بالفضائل
فان التصوف عبارة عنهما اذ قيل في تفسيره هو الخروج من كل خلق دني و
الدخول في كل خلق سني القسم الثاني في الاخلاق الذميمة وتفسيرها وغوائلها

فيه الاصناف الخمسة
الاول الكفر

وعلى الوجه تفصيلا اعلم اني تتبعتها فوجدتها ستين الاول الكفر بالله تعالى العياذ
بالله تعالى منه وهو اعظم المهلكات على الاطلاق فنقول وبالله التوفيق هو عدم الايمان
عمن من شانه ان يكون مؤمنا والايمان هو التصديق بالقلب بجميع ما جاء به محمد عليه الصلوة
والسلام من عند الله تعالى والاقرار به عند عدم المانع حقيقة وحكما او حكما فقط وتفسير
الكفر بالانكار ليس بجامع لخروج الشك وخلو الذهن عنه فعلى الاول بينهما تقابل
العدم والملكة وعلى الثاني تقابل التضاد والكفر ثلثة انواع جهلي وسببه عدم الاصغاء
والالتفات والتامل في الايات والدلايل ككفر العوام والجهل هو النوع الثاني من

الجهل

افات القلب وهو عدم العلم عمن من شانه ان يكون عالما وهو نوعان بسيط
اصحابه كالانعام لفقدهم ما به يمتاز الانسان عنها بل هم اضل لتوجههما نحو كمالاتها
فما وجب علمه مما سبق حرم جهله وما لا فلا وعلاجه بعد معرفة غوائله وفوائد العلم
مما سبق في فضل العلم والتعلم وقد يحصل بسبب تعارض الادلة العقلية جهل يسمى
حيرة وشكا او ترددا او توقفا فعلاجه ممارسة القوانين العقلية كالمنطق وغيره
حتى يطلع على شرط اهمله واعتبره ولم يكن معتبرا في احد الدليلين فيزول
التعارض فالحيرة وتعارض الادلة الشرعية قد لا يمكن دفعه بان لا يعلم التاريخ
وامتنع الترجيح بالاسباب المرجحة فيوجب الشك والتوقف فلذا توقف
المجتهدين في بعض المسائل كائمتنا الثلثة في سور البغل والحمار وابو حنيفة رح

النوع الاول

في اطفال المشركين ووقت الختان ودهر منكر ومركب وهو اعتقاد
غير مطابق وهو شر من الاول مرض مزمن قلما يقبل العلاج لان صاحبه
يعتقد انه علم وكمال لا جهل ومرض فلا يطلب ازالته وعلاجه الا ان
يطلع على فساده لغلبته بعنايت الله تعالى والنوع الثاني كفر جحدي وعنادي

وعنادي وسببه الاستكبار ويجيء ككفر فرعون وملائه كقوله تعالى فاستكبروا وكانوا قوما عالين وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وبخوف عدم وصوله الرياسة او زوالها ككفر هرقل وحب الرياسة الدنيوية هو الثالث من امراض القلب وهي ملك القلوب ويسمى جاها وشرفا وصيتا من عن كعب بن مالك رض عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ذئبان جائعان ارسلا في غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه هق عن انس رض قال حسب امرء من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه ديلم عن ابن عباس رض انه قال عليه السلام حب الثناء من الناس يعمي ويصم وسببه ثلثة احدها التوسل بالجاه الى ما حرم من مشتهيات النفس ومراداتها وهو حرام وثانيها التوسل به الى اخذ الحق وتحصيل المرام المستحب او المباح او دفع الظلم والشواغل والتفرغ للعبادة او الى تنفيذ الحق واعزاز الدين واصلاح الخلق بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا ان خلا من المحظور كالريا والتلبيس وترك واجب او سنة فجائز بل مستحب قال الله تعالى حكاية واجعلنا للمتقين اماما والا فلا لان النية لا تؤثر في المحرمات والمكروهات وثالثها التلذذ به نفسه وطلبه لما لا وهذا كحب المال للتنعم والتلذذ فان خلا عن المحظور فليس بحرام ولكنه مذموم لكون صاحبه مقصور الهم على مراعات الخلق وخوف وتاديته الى المرايات لاجلهم والنفاق باظهار ما ليس فيه من الكمالات لاقتناص القلوب والتلبيس في الخدعة والكذب والعجب ونحوها وعلاجه العلم انه ليس بكمال حقيقي بفنائه وكدورته وموفته وغوائله المذكورة وان تعمل ما يسقط الجاه عن قلوب الخلق من الامور الخسيسة

المباهة كما روى ان بعض الملوك قصد لبعض الزهاد فلما علم بقربه منه استدعى
طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقمة فلما نظر اليه الملك سقط من عينه
وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذى صرفك عنى واقوى الطرق فى قطع الجاه الاعتزال
من الناس الى موضع الخمول واما الجاه بلا حب له ولا حرص عليه للذة العاجلة فليس
بمذموم فاى جاه اعظم من جاه الانبياء والخلفاء الراشدين والسبب الثالث
للكفر الجحودى خوف الذم والتعيير ككفر ابى طالب وهو الرابع من المهلكات القلب
والخامس حب المدح والثناء وهما كحب الرياسة سببا وحكما وعلاجا غير ان السببين
الاولين من الاول عدم التوسل والثالث التالم لشعور النقصان وعدم ملك
القلوب والحشمة فيها وعلاجه اى خوف الذم ان تحضر قلبك ان الذام ان كان صادقا فقد
عرفنى او ذكرنى ونبهنى على عيبى فان كان ممكن الزوال فاجتهد فى ازالته فهو
نعمة توجب الفرح والحب والثناء والمكافاة لمعطيها ولو اراد قدحى و
طعنى اذ نيته لا تؤثر فيها ولا يخرجها من ان تنفع لى بل تزيد بصيرة ذمه
ح لمزا او غيبة فيكون مهديا الى بعض حسناته او منقذا لى بعض ذنوبى فيها
النعمة فاين الالم وان لم يمكن زواله يحصل لى النعمة الثانية وان كان كاذبا فقد
بهتنى واضر نفسه وحصل لى النعمة الثانية اكثر واعظم من الاول فالالم
من الذم انما يحصل لمن قصر نظره على الدنيا واما طالب الاخرة فانما يحصل له
الفرح والنشاط والسبب الثالث فى حب المدح التلذذ لشعور النفس الكمال
بتعريف المادح او تذكيره فى الصدق ولشعورها ملك قلب المادح وسببه
لملك قلوب الاخرين وحشمتها وعلاجه سبق والاول ان كان الكمال دنيويا
ككما ان وان كان اخرويا فالعمل والعلم فقط وخيريتهما ونفعهما موقوف على
استجماع الشرائط كالاخلاص والعمل وعدم الاحباط بالكفر الى الموت والا

خوف الذم

حب المدح

والا فينقلب ان شرا او ضرا فيوجبان اى وحزنا وهى مجهولة مشكوكة بل عدم مظنونة
غالبة لان النفس الامارة بالسوء وشياطين الانس والجن صارفة عنها فبينهما
للخشية والوصل اولى واقرب منها للفرح والامن عند سالك طريق الاخرة فلذا
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وفسر رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة بالذين يعملون الصالحات وسيجىء ضرر المدح
فى افات اللسان انشاء الله تعالى والنوع الثالث كفر حكمى وهو ما جعله الشارع
امارة التكذيب كاستخفاف ما يجب تعظيمه من الله تعالى وكتبه وملائكته ورسله واليوم الاخر
وما فيه والشريعة وعلومها والرضا بكفر نفسه مطلقا وبكفر غيره استحسانا له بالاتفاق
ومطلقا عند البعض والتكلم بما يوجبه طائعا من غير سبق اللسان عالما بانه كفر
بالاتفاق وجاهلا به عند عامة العلماء وكذا الفعل ولو هزلا او مزاحا بلا اعتقاد
مدلوله بل مع اعتقاد خلافه فانه يكفر به عند الله تعالى الى فلا يفيده اعتقاده الحق
وسببه قصد اظهار الظرافة والبلاغة واتيان الامر الغريب وتطييب المجلس
واضحاك الحاضرين بالهزل والهذر والمزاح او شدة الغضب والضجر والجهل
والخفة والشره على الكلام والمحاكات وعدم حفظ اللسان والاعضاء وعدم
المبالات فى امر الدين وعلاجه ان تعرف اولا افات الكفر بعد الايمان
من حبط الطاعات كلها وذهاب النكاح وحل دمه وحرمة ذبيحته والعذاب
المخلد فى النار لو مات بدون التوبة وثانيا افات اللسان بما سيجىء ان شاء الله تعالى
ثم ملازمة الصمت والسكوت وحفظ اللسان والاعضاء او الجد وترك الهزل
والهذر ونحو ذلك من الاسباب والدعاء ثم التضرع لله تعالى وان يحفظ من الكفر
خصوصا الدعاء الذى رواه ابو موسى الاشعرى خرجه حد طب قال خطبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال يا ايها الناس اتقوا هذا الشرك فانه اخفى من

دبيب النمل فقال له من شاء الله ان يقول وكيف نتقيه وهو اخفى من دبيب النمل يا رسول الله قال صلعم قولوا اللهم انا نعوذ بك ان نشرك بك شيئا نعلمه ونستغفرك لما لا نعلمه وخرجه ابو يعلى من حديث حذيفة بغير زاد يقول كل يوم ثلث مرات وغائلة الكفر العظمى حرمان دخول الجنان والعذاب المؤبد في النيران وسبب الايمان النظر والتامل في الايات الدالة على وجود البارى واتصافه باوصاف الكمال وتنزهه من صفات النقصان وعلى نبوة محمد صلى الله عليه واله وسلم وتيقن التابيد في النار ان مات على الكفر والانكار ورجاء دخول الجنة دار القرار وفائدته العظمى النجاة من التابيد المذكور والفوز بالدخول المزبور رزقنا الله واياكم الكريم الغفور والسادس اعتقاد البدعة وسببه اتباع الهوى والاعتماد على العقل والاعجاب بالرائ والتقليد فاما اتباع الهوى فهو السابع من افات القلب قال الله تعالى فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى ارايت من اتخذ الهه هواه واتبع هواه فمثله كمثل الكلب. واتبع هواه وكان امره فرطا بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم ومن اضل ممن اتبع هواه وخرج ... عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في اخر حديث طويل واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وخرج الديلمي عن علي انه قال قال عليه الصلوة والسلام ان اشد ما اخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل بك عن الحق واما طول الامل فانه يحبب اليك الدنيا وخرجت عن شداد بن اوس رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى فالهوى مصدر هويه يهواه من باب علم اى احبه واشتهاه والنفس بالطبع مائلة

اعتقاد البدعة

اتباع الهوى

ميالة الى الشر امارة بالسوء فاتباع هواها يردي ويهلك لا محالة واما في غير المباحات فظاهر واما فيها فبعد كونه الصفة البهيمية وركونا الى الدنيا الدنية وشغلا شاغلا عن الطاعة وزاد الاخرة مفض الى المحظورات وجار الى الشرور ومؤد الى الفجور وحمى الحرام ومأوى للآثام والآثام وصاحبه خسيس دنيء لئيم رذيل بل هو لخنزير الشهوة خادم مطيع وعبد ذليل وانشدوا نظم نون الهوان من الهوى مسروقة

فصريع كل هوى صريع هوان ومقابله المجاهدة وهي فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الاوقات فهي بضاعة العباد ورأس مال الزهاد ومدار صلاح النفوس وتذليلها وملاك تقوية الارواح وتصفيتها ووصولها فعليك ايها السالك بالتشمير في منع النفس من الهوى وحملها على المجاهدة ان شئت من الله تعالى الهدى قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغني عن العالمين ثم اعلم ان المذموم في اتباع الهوى في المباحات الاصرار عليه اذ طبع البشر لا يتحمل المخالفة الكلية ولانه يؤدي الى الغلو والافراط وقد مر في فصل الاقتصاد انه منهي عنه ولانه يورث الملالة والسامة المؤدية الى عدم المداومة المذموم جدا في العبادة ولذا قال عليه الصلاة والسلام خذوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا وان احب الاعمال الى الله تعالى ما دام وان قل خ م عن عائشة رضي الله عنها وفي رواية لمسلم خذوا من العمل ما تطيقون فو الله ما يسأم الله حتى تسأموا وعن علي رضي الله عنه انه قال روحوا القلوب فانها اذا كرهت عميت وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال اني لاستجم نفسي باللهو ليكون عونا لي على الحق فح لا بد احيانا ان يتناول من مشتهيات المباحات استراحة من التعب وتحرزا من السامة وتحريكا للنشاط على العبادة فلذا قال حجة الاسلام لو سكن نشاطه وضعف رغبته وعلم ان الترفه بالنوم او الحديث او المزاح

في ساعة يسير ونشاطه فذلك افضل له من الصلوة من الملال ففي الحقيقة هذا

اتباع للسر لا للهو المحض والعجب ٨ واما التقليد فهو الثامن من افات القلب

وهو الاقتداء بالغير بمجرد حسن الظن من غير حجة وتحقيق وذا لا يجوز في العقائد

بل لا بد من نظر واستدلال ولو على طريق الاجمال قال الله تعالى قل انظروا ماذا في

السموات والارض والايات في ذم المقلدين في الاعتقاد كثيرة جدا والاجماع

منعقد عليه فالمقلد في الاعتقاد اثم وان كان ايمانه صحيحا عندنا واما التقليد

في الاعمال فجائز لمن كان عدلا مجتهدا ولكن انقطع الاجتهاد منذ زمان طويل

فانحصر طريق معرفة مذهب المجتهد المقلد في نقل كتاب معتبر متداول بين العلماء

مصحح لمن قدر على مطالعته واستخراجه واخبار عدل موثوق به في عمله فلا يجوز العمل

بكل كتاب ولا بقول كل من تزيا بزي العلماء ومقابل اعتقاد الحمد عشر اعتقاد

اهل السنة والجماعة وسببه التمسك بالسنة وما عليه الصحابة واجماع الامة وترك

الهوى والاعجاب بالراي مع النظر والاستدلال والتقليد لصاحبه وهو مع اثم

والتاسع الريا ٩ وفيه سبعة مباحث المبحث الاول في تعريفه وتقسيمه هو

ارادة الدنيا بعمل الاخرة او دليله او اعلامه احدا من الناس من غير اكراه

ملجئ الباعث على نفسه وضده الاخلاص وهو تجريد قصد التقرب الى الله تعالى

بالطاعة عن نفع الدنيا والاعلام السابق وثمرة الاحسان وهو ان تعبد الله

كانك تراه وقد يطلق الريا على حب المنزلة والقصد في قلوب الناس

باعمال الدنيا والاول بقسميه ريا اهل الدين فالقسم الاول ان لم يقارنه

ارادة نفع الاخرة فريا محض وان قارنه فريا تخليط اما غالب او مساو

او مغلوب فالجملة خمسة والمراد منه نفع الدنيا اما خالق او مخلوق ونفع

الدنيا اما جاه او مال او قضاء شهوة او دفع ضرر يسير وكل منها اما للتوسل الى

التقليد

الريا

الا عمل الاخرة اولا فالاول من الخالق تعالى ليس برياء لورود صلاة الاستسقاء
والاستخارة والحاجة ونحوها وغيره كله رياء والثاني اعلام الغير باشتماله على مجرد
الاظهار للاقتدار ونحوها من النيات الصالحة لا على نفس العمل فليس برياء ثم المبحث
الثاني فيما به الرياء وهو خمسة الاول البدن وذلك باظهار النحول ليدل على قلة
الاكل وشدة الاجتهاد في العبادة وغلبة خوف الاخرة واظهار الاصفرار
ليدل على سهر الليل وكثرة الحزن في الدين وذبول الشفتين وخفض الصوت
ليدل على الصوم وضعفا لجوع ووقار الشرع وحلق الشارب واطراف الراس
والهدوء في الحركة ونحو ذلك ورياء اهل الدنيا باظهار السمن وصفاء اللون
واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن ونحوها والثاني الزي كلبس
الصوف وتشميره الى قريب من نصف الساق وغلظ الثياب والمرقع والطيلسان
ليظهر انه متبع للسنة وينصرف اليه الاعين بسبب تميزه ولبس الثياب المخرقة
والوسخة ليدل به على استغراق الهم بالدين وعدم التفرغ للخياطة والغسل او
على التواضع وكسر النفس والفقر والزهد ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا
لكان عنده بمنزلة الذبح لخوفه ان يقول الناس رغب في الدنيا ورجع عن
الزهد ومنهم من يريد القبول عند اهل الدنيا من الملوك والاغنياء وعند اهل
الصلاح فلو لبس الخلقة والوسخة اذا ازدرته اهل الدنيا ولو لبس الفاخرة ردته
اهل الدين ولا يعلم زهده وصلاحه فيطلبون الاصواف الرقيقة والاكسية
الرفيعة مما قيمتها قيمة ثياب الاغنياء وهيئتها هيئة ثياب الصلحاء فيلتمسوا
القبول عند الفريقين ولو كلفوا لبس خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح
خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنياء ولو كلفوا لبس ما يلبسه
الاغنياء لعظم عليهم خوفا من ان يقال رغبوا في الدنيا وان لا يعلم انهم من

اهل الدين والزهد والصلاح وريا اهل الدنيا بالثياب النفيسة والمراكب الرفيعة
والمساكن الواسعة يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ولا يخرجون بها والثالث
القول كالوعظ والنطق بالحكمة والاخبار والاثار واظهار الغزارة العلم ودلالة
على شدة العناية باحوال السلف وتحريك الشفتين بالذكر والامر بالمعروف والنهي
عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار التاسف على
مفارقة الناس للمعاصي وترقيق الصوت بالقراءة ليدل بذلك على الحزن و
الخوف وادعاء حفظ القران والحديث ولقاء الشيوخ وذكر ما فعله من الطاعات
والرد على من يروي الحديث ببيان خلل في نقله او صحته او لفظه ليعرف انه بصير
بالاحاديث والجدال على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في العلم والدين
ونحو ذلك وريا اهل الدنيا بالاشعار والامثال واظهار البلاغة والفصاحة
والرابع العمل كتطويل المصلي القيام والركوع والسجود وتعديل الاركان واطراق
الراس وترك الالتفات واظهار الهدوء والسكون وتسوية القدمين والبدن
في محضر الناس دون الخلوة وقس عليها سائر العبادات وريا اهل الدنيا
بالتبختر والاختيال وتقريب الخطا والاخذ باطراف الذيل ونحوه والخامس
الاصحاب والزائرون كمن يفرح بكثرتهم ويشيعهم خلفه عند ذهابه الى الجمعة او
الدعوة او يباهي بهم ولا يذهب وحده ليقال انه مرشد كامل له اتباع كثيرة
وريا اهل الدنيا ليقال انه ذو قدرة وثروة وعبيد وخدم كثيرة المبحث
الثالث فيما له الريا وهو الجاه واستمالة القلوب اما لذاته واما للتوسل به الى
المعصية او مباح او طاعة في اعتقاده وقد يكون هذه الثلثة اغراضا من الريا
بغير توسط جاه فتلك اربعة ولكل وقع الريا ان اما الاول فكمن يقصد
بعبادته ان يشتهر بالزهد والارشاد وكثرة المريدين والاحبار وكمن يمشي

يمشي فيطلع عليه الناس فيترك العجلة كي لا يقال انه من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار
ومنهم من اذا سمع هذا استحيى ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيتكلف
نفسه المشية الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به من الرياء
وقد تضاعف به رياؤه فانه انما يحسن مشيته في خلوته ليكون كذلك في الملأ لا لحياء من
الله تعالى وكذلك يسبق الضحك او يبدر منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار
فيتبع بالاستغفار وتنفس الصعداء ويقول ما اعظم غفلة الآدمي عن نفسه والله تعالى
كان يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف ان ينظر اليه لا
بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يتهجدون او يصومون او يتصدقون فيوافقهم خيفة
ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا يفعل شيئا منه وكالذي
يعطش يوم عرفة او عاشوراء فلا يشرب خوفا من ان يعلم الناس انه غير صائم وان
اضطر اليه ذكر لنفسه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل بمرض اقتضى فرط العطش
او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان وقد لا يذكر ذلك متصلا بشربه كيلا يظن انه
يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية مثل ان يقول ان فلانا محب
للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح اليوم علي ولم اجد بدا
من تطييب قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت
يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم واما المخلص فلا يبالي كيف نظر الخلق اليه
فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله تعالى ذلك منه فلا يريد ان لا يعتقد غيره
ما يخالف علم الله تعالى فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم قنع بعلم الله تعالى
ولم يشرك في غيره الا ان يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره فيظهر ومن يريد
باظهار الشجاعة وحسن التدبير في الامارة والوزارة ونحوهما واما الثالث فمن يرائي
بعبادته ويظهر التقوى والورع والامتناع من اكل الشبهات ليعرف بالامانة

فيولّى القضاء او الاوقاف او مال الايتام او يودع الودايع فيأخذها ويجحدها وكمن
يظهر زى التصوف وهيئة الخشوع وكلام الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير ليحبب
الى امرأة او غلام لاجل الفجور وكمن يحضر مجلس العلم او حلق الذكر بملاحظة النسوان
والصبيان وكمن يظهر الشجاعة وحسن السياسة والضبط ليصل الى الولاية والوصاية
او نحوها فيتمكن من المحرمات المشتبهات واما الثالث فكمن يراءى بعبادته ليبذل
له الاموال ويرغب في نكاح صالحة او سريعا في خدمته وحاجته الناس وكمن يخفف
الصلوة ويترك التعديل والاداب في الخلوة ويطيلها ويراعى التعديل والاداب
في الملاء فرارا عن ايذاء الناس بمذمته وغيبته لا طلبا للمدح منهم ولا ثوابا من
الله تعالى وكمن يصلى او يقرأ او يهلل لاخذ المال والتلذذ به وكالمثال الاخير للثانى
ليصل الى المشتهيات من المباحات واما الرابع فكالمثال الثانى للثالث اذا
كان غرضه صيانة الناس من المعصية بالغيبة والذم وكالمتعلم يراءى بطاعته
لينال عند المعلم رتبة فيتعلم منه علما نافعا وكالولد يراءى بعمله ليميل اليه قلب
ابويه فيكون بارا لهما وكمن يراءى عند الاغنياء لينال منهم ما لا يتخذ عدة للعبادة
او يراءى عند الامراء والوزراء والقضاة لينال منهم جاها ومنصبا يتفرغ به
للعبادة ودفع الشواغل والظلم او لينفذ به قوله في الامر بالمعروف والنهى
عن المنكر وكمن يعطى له دراهم مسماه بعينها واقف او غيره ليقرأ جزء من
كلام الله تعالى كل يوم او يصلى ركعة كذا او يسبح او يهلل او يكبر او يصلى على النبى
عليه الصلوة والسلام ويعطى ثوابه للمعطى او لاحد ابويه فيفعل ذلك المسكين تلك
العبادة طمعا للمال ليجعله عدة وقوة للعبادة ويظن انه حلال له وان ثوابه
يصل الى الآمر وانه طاعة وكمن يصلى او يهلل في الملاء بمجرد ارادة الناس ليقتدوا
ويتعلموا منه كيفية العمل ويصير سببا لطاعتهم ولو لم يره الناس لم يفعل وهذا

وهذا الحق رياء بخلاف ما لو كان قصده الاقتداء به حثا على الخير والاظهار لا لاحداث
فانه ليس برياء بل هو مستحب ورياء اهل الدنيا باظهار الغنى عنه ونحوها ليصل الى
ولاية لينفذ احكام الشرع ويصلح الناس ويرفع الظلم والمنكرات المحرمات الذرايع في
الرياء الخفي وعلاماته اعلم ان الرياء قد يكون خفيا الى ان يكون اخفى من دبيب النمل
فيحتاج في معرفته الى علامات منها ان يستر باطلاع الناس على طاعته ومدحهم من
غير ان يلاحظ اقتداء غيره به او اطاعتهم لله تعالى في مدحهم ومحبتهم للمطيع او يستدل به
على حسن صنع الله تعالى ونظره له حيث يستر القبيح واظهر الجميل ويكون فرحه بجميل
نظر الله تعالى له لا لحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا او يستدل باظهار الله تعالى الجميل وستر القبيح في الدنيا
انه كذلك يفعل به في الآخرة كما جاء في الخبر فان السرور باحد هذه الاربعة حق لا
يدل على الرياء ولكن كثيرا ما يدلس له تلبيس فليكن على بصيرة ومنها ان يحب ان
يوقره الناس ويثنوا عليه وان ينشطوا في قضاء حوائجه وان يسامحوه في البيع
والشراء وان يوسعوا له في المكان فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه ووجد لذلك
استبعادا كان نفسه تتقاضى الاحترام على الطاعة التي اخفاها ولو لم يكن سبقت منه
الطاعة لما كان يستبعد ذلك ومهما لم يكن وجود العبادة كعدمها فيما يتعلق
بالخلق لم يكن خاليا من شوب خفي من الرياء ومهما ادركت النفس تفرقة
بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء الا ان يقارنه
الملاحظة والاستدلال السابقان وقليل ما هم فليكن على بصيرة وحذر من التلبيس
فان الله تعالى بصير لا يخفى عليه قليل ولا صغير ومنها انه لو كان له صاحبان غني و
فقير وجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني
زيادة علم او ورع او صداقة سابقة او نحوها فمن كان استراحته الى مشاهدة

الاغنياء اكثر بدون ما ذكر فهو مراء و من العلامات المختصة بالواعظ والعالم الشيخ
انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واعرف علما والناس اشد له قبولا ساءه وحسده
نعم لا باس بالغبطة ومنها ان الاكابر اذا حضروا المجلس تغير كلامه عما كان عليه تصنعا
واستمالة لقلوبهم نعم لو زاد ما يتعلق باصلاحهم بلطف ورفق ليستدرجهم الى التوبة
والصلاح لحسن ذلك ولكن محل تلبيس فان اشتبه عليه فلينظر الى الخلق بعين
واحدة المبحث الخامس احكام الرياء اعلم ان الرياء بعمل الدنيا لا يحرم ان خلا
من التلبيس والتزوير ولم يتوسل به الى المنهي عنه ولكن ان كان للحظ العاجل فمذموم
والا فمستحب لما بينا في حب الرياسة واما الرياء بالعبادة فحرام كله بل ان كان في
اصل العبادة بمن يصلي الفرض عند الناس ولا يصلي عند الخلوة فكفر عند البعض
قال في التاتارخانية وفي الينابيع قال ابراهيم بن يوسف رح لو صلى رياء فلا اجر له
فعليه الوزر وقال بعضهم يكفر انتهى وممن قال بكفره الفقيه ابو الليث رح ذكره في
تنبيه الغافلين واغلظ فيه حيث جعله منافقا تاما في الدرك الاسفل من النار مع
ال فرعون وهامان وكون غرضه منه الطاعة لصيانة الناس عن الغيبة وتحصيل العلم
النافع وبر الوالدين والمال عدة للعبادة وقوة عليها وتفرغا لها ودفعا لنحوها
والجاه كذلك فبعد تسليم صدقه لا يفيد ولا يجعله حلالا لانه تلبيس وكذب فعلي و
صورة استهانة واستهزاء بالله تعالى بخلاف ما لو كان قصد من عبادته وطلبه بها
المال الحلال والجاه المذكورين ابتداء من الله تعالى ولم يرد اراءة الناس واسماعهم
فانه حلال لا رياء كما سبق لانه ليس فيه تلبيس وصورة استهانة نعم لو كان
مقصوده منهما الحظ العاجل فرياء لا يحل به لانه جعل عبادة الله تعالى التي هي
شبكة للدنيا وقد وضعها الله تعالى لنفع الاخرة وفيه قلب الموضوع فلا يفيده
كون ارادته من الله تعالى لا من الخلق قال الله تعالى ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته

نوبته منها وماله في الآخرة من نصيب وأما تأثيره في الطاعة فالمغلوب ينقص

اجرها ولا يبطلها والمساوي والغالب والمحض يبطلها لعدم النية وهي شرط في كل

عبادة من حيث انها عبادة لقوله عليه السلام انما الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى

رواه عمر رضي وهذا حديث مشهور خرجه الائمة الثلثة الا مالكا رح والنية ارادة التقرب

بالعمل الباعثة عليه المتصلة به اوله حقيقة او حكما والارادة احتراز من مجرد التلفظ

باللسان وحديث النفس والتقرب احتراز عن الريا والباعثة عن القصد المساوي

والمغلوب والمتصل عن الامل ونحوه فان من اراد جزما صلاة الظهر غدا او

نحوها فامل وان لم يشترط الصلاح والاستثناء فغير امل وغيرنا وانه حتى لا يجوز شيء

مما ذكر بتلك الارادة وكذا بعد الشروع او حكما ليدخل فيه نية الزكوة عند العزل و

الصوم بعد الغروب الى نصف النهار في رمضان والنذر المعين والنفل الى طلوع

الفجر في غيرها والصلوة الى الركوع عند الكرخي رح عفا وجه والامل هو العاشر من

افات القلب ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم اعني بلا استثناء ولا شرط

صلاح وغوائله اربعة الكسل في الطاعة وتأخيرها وتسويف التوبة وتركها

وقسوة القلب بعدم ذكر الموت وما بعده والحرص على جمع الدنيا والاشتغال

عن الاخرة فلا يزال الامل يشتغل بجمع الدنيا وتكثيرها خوفا من الشيخوخة والمرض

ونحوهما فمنهم من يسعى لكفاية عشر سنين ومنهم خمسين سنة ومنهم اكثر ومنهم اقل

قال مشايخ الصوفية من ادخر كفاية سنة لعياله لا يلام ولا يخرج من التوكل لما

روي ان النبي عليه السلام ادخر لازواجه قوت سنة فلذا قال بعض الفقهاء

انه من الحوائج الاصلية لا يعتبر في الغنى ولكن الاصح ان ما زاد على قوت شهر

يعتبر في الغنى واما من لا عيال له فله ان يدخر قوت اربعين يوما وان ادخر

زائدا عليه خرج من التوكل اقول مرادهم التوكل الكامل والنفل لا الاصل

الامل

التوكل الفرض لما بينا في فضل العلم واما ارادة طول الحيوة بالاستثناء وشرط الصلاح
لزيادة العبادة فليس بآثم بل مذموم بل هو مندوب اليه ت عن ابي بكرة رضه ان
رجلا قال يا رسول الله اي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فاي الناس
شر قال صلعم من طال عمره وساء عمله حم حك عن جابر رضه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تتمنوا الموت فان هول المطلع شديد وان من السعادة ان يطول عمر العبد
ويرزقه الله تعالى الانابة س عن عمر بن عتبة رضه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من شاب شيبة في الاسلام كانت له نورا يوم القيمة د عن عبيد بن
خالد رضه انه آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رجلين فقتل احدهما ومات
الآخر بعده بجمعة او نحوها فصلينا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلتم
فقالوا دعونا له وقلنا اللهم اغفر له والحقه بصاحبه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاين صلاته بعد صلاته وصومه بعد صومه شك شعبة في صومه وعمله بعد عمله
فان بينهما ما بين السماء والارض وسبب الامل حب الدنيا والغفلة عن قرب
الموت والاغترار بالصحة والشباب وعلاجه ازالة اسبابه اما حب الدنيا فيجيء
ان شاء الله تعالى واما البواقي فبالمداومة على ذكر الموت وقربه ومجيئه بغتة
على غفلة وان الصحة والشباب لا يمنعه بل موت الشباب اكثر من موت الشيوخ
كما ان موت الصبيان اكثر من موتهما وكم من صحيح يموت ويبقى المريض بعد سنين
ومن اقوى علاجه استماع ما ورد في مدح ذكر الموت وذم طول الامل مع الدنيا
عن انس رضه انه قال صلعم اكثروا من ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا
مج عن البراء رضه انه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على
شفير القبر فبكى حتى بل الثرى ثم قال يا اخواني لمثل هذا فاعدوا طب عن
عمار رضه ان النبي عليه السلام قال كفى بالموت واعظا وكفى باليقين غنا طب عن ابي هريرة

عن ابى هريرة رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا ذكر هادم اللذات
يعنى الموت فانه ما ذكره احد فى ضيق الا وسّعه ولا ذكره فى سعة الا ضيقها عليه
عن ابن عمر رضه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم عاشر عشرة فقام رجل من
الانصار فقال يا رسول الله من اكيس الناس واحزم الناس قال اكثرهم ذكرا
للموت واكثرهم استعدادا للموت اولئك الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا و
كرامة الاخرة ذم طول الامل عن ام المنذر رضها انه اطلع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال يا ايها الناس الا تستحيون من الله تعالى
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تأكلون وتأملون ما لا تدركون و
تبنون ما لا تسكنون عن ابى سعيد رضه انه اشترى اسامة بن زيد بن ثابت رضه
وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون
من اسامة المشترى الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذى نفسى بيده ما طرفت
عيناى الا ظننت ان شفرىّ لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت
طرفى فظننت انى واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها
حتى اغصّ بها من الموت ثم قال يا بنى ادم ان كنتم تعقلون فعدّوا انفسكم
من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين عن الحسن رضه
انه قال عليه السلام اكلكم يحب ان يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا الامل
واجعلوا اجالكم بين ابصاركم واستحيوا من الله تعالى حق الحياء فالامل ان كان
للتلذذ بالمحرمات فحرام والا فليس بحرام ولكنه مذموم جدا ولو كان لتكثير الطاعات
للافات السابقة ولانه يستلزم الطمع المذموم وهو ارادة الحرام الملذذ او الشئ
الخاطر اعنى النوافل والمباحات بالجملة فهو الحادى عشر من افات القلب
عن سعد بن ابى وقاص رضه انه جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

الطمع

اوصني قال عليك باليأس فيما في ايدي الناس واياك و الطمع فانه الفقر
الحاضر وصل صلاة المودع واياك وما يعتذر منه فطمع الحرام حرام وطمع المخاطر
لبعض الحرام ولكنه مذموم جدا واقبح الطمع الطمع من الناس وهو ذل ينشأ
من الحرص والبطالة والجهل بحكمة الله تعالى في الحاجة الى التعاون فضد الطمع
التفويض وهو ارادة ان يحفظ الله عليك مصالحك فيما لا يامن فيه الخطر
اعني النوافل والمباحات فالكان فيه صلاحك يتركه والا منعك قال الله تعالى
حكاية وافوض امري الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا
انظر كيف عقب التفويض بالوقاية وهو مقام شريف يدل على حسنه العقل
المبحث السادس في امور مترددة بين الرياء والاخلاص والحياء يدخل في
كلا الجانبين تلبس البعض فلنقدم مقدمة في دفع الشيطان وحيله ليشتد
اليها الحاجة في التقوى في جميع مجاريها خصوصا في الاخلاص فنقول وبالله
التوفيق المذهب المختار فيه الجمع بين الاستعاذة والمحاربة فنستعيذ بالله تعالى
اولا من شره كما امر الله تعالى به فان الشيطان كلب سلط علينا فعلينا الرجوع
الى ربه ليصرفه عنا ثم نتحق بدعوته وننفيها كلما وردت ولا نشتغل بالمحاربة
والجواب فانه بمنزلة الكلب النابح كلما اقبلت عليه ولع بك ولج وان اعرضت
سكت فان لم يسكت بل يغلب علينا ~~فعلمنا~~ [الدفع] انه ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق
مجاهدتنا وقوتنا كما ان الله تعالى سلط علينا الكفار مع قدرته على الكفاية امرهم
وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر قال الله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وايضا قد يشتبه علينا
خاطر لا ندري انه شر من الشيطان او خير من غيره فعلينا المحاربة والقهر والدوام
على ذكر الله تعالى باللسان والقلب ومعرفة وساوسه ومكائده فلا بد اولا من

٢٣

من معرفة منشأ الخواطر وتمييز خيرها من شرها فهي اما ان يحدثها الله تعالى في قلب العبد تبعته على الافعال والتروك اما ابتداء فيقال له الخاطر فقط وعلامته كونه قديما مصمما في الاصول والاعمال الباطنة وان يكون خيرا عقيب اجتهاد وطاعة اكراما وتسمى هداية وتوفيقا ولطفا وعناية قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا زادهم هدى او شرا عقيب ذنب اهانة وعقوبة فيسمى خذلانا واضلالا واغواء واما بواسطة ملك موكل من الله تعالى على ابن ادم جاثم على اذن قلبه اليمنى يقال له الملهم ولدعوته الالهام ولا يكون الا خيرا وعلامته كونه مترددا في الفروع والاعمال الظاهرة وبلا سبق طاعة او معصية في الاغلب او بواسطة طبيعة مائلة الى الشهوات يقال لها النفس ولدعوتها هوى ولا يكون الا شرا وعلامته كونه مصمما راتبا على حالة واحدة وان لا تستضعف ولا تقل بذكر الله تعالى او بواسطة شيطان مسلط على ابن ادم جاثم على اذن قلبه اليسرى يقال له الوسواس الخناس ولدعوته الوسوسة وعلامته كونه مترددا ومضطربا وبلا سبق ذنب في الاكثر وان يقل ويضعف بذكر الله تعالى وقد يكون شرا في الاغلب وقد يكون خيرا مفضولا ليمنعه عن الافضل او ليجر الى ذنب عظيم وعلامته ان يكون قلبك فيه مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة ت س عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في القلب لمتان لمة من الملك بايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة من العدو بايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير دنيا عن انس رضي الله عنه عليه السلام قال ان الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن ادم فان ذكر الله تعالى خنس وان نسي الله تعالى التقم قلبه واما علامة خاطر الشر مطلقا وعلامة خاطر الخير كذلك فلمعرفتهما

اربعة موازين مرتبة الاول عرضه على الشرع فان وافق جنسه فخير وان ضده
فشر والثاني عرضه على عالم من علماء الآخرة او مرشد كامل ان وجد فان قال خير
فخير وان شر فشر والثالث عرضه على الصالحين فان كان في فعله اقتداء بهم فخير
والا كان بالطالحين فشر والرابع عرضه على النفس والهوى فان تنفر عنه نفرة
الطبع لا نفرة خشية الله تعالى وان مالت اليه ميل الطبع لا ميل رجاء من
الله تعالى فشر اذ النفس اذا خليت وطبعها لامارة بالسوء واما حيل الشيطان
ومخادعاته في الطاعة فمن سبعة اوجه اولها ينهاه منها فان عصمه الله تعالى
رده بان قال اني محتاج الى ذلك جدا اذ لا بد من التزود من هذه الدنيا الفانية
للآخرة التي لا انقضاء لها ثم يامره بالتسويف فان عصمه الله تعالى رده بان قال
ليس اجلي بيدي على انى ان سوفت عمل اليوم الى غد فعمل الغد متى اعمله فان
لكل يوم عملا ثم يامره بالعجلة فيقول عجل لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى بان
قال قليل العمل مع التمام خير من كثيره مع النقصان ثم يامره باتمام العمل
المراءايات فان عصمه الله تعالى رده بان قال الناس لا يقدرون على نفع وضر فلا
يكفيني رؤية الله تعالى النافع الضار ثم يوقعه في العجب فيقول ما ايقظك و
اعقلك تنبهت لما لم يتنبه له غيرك فان عصمه الله تعالى رده بان قال المنة
لله تعالى في ذلك دوني فهو الذي خصني بتوفيقه وجعل لعملي قيمة عظيمة بفضله
ولولا فضله لما كان له قيمة في جنب نعمة الله تعالى وجنب معصيتي له ثم يقول
اجتهد انت في السر فان الله تعالى سيظهره ويجعلك شريفا خطيرا بين الناس
واراد بذلك ضربا من الرياء الخفي فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما انا
عبد الله تعالى وهو سيدي ان شاء اظهر وان شاء اخفى وان شاء جعلني
خطيرا وان شاء حقيرا وذلك اليه ولا ابالي ان اظهر ذلك للناس او لم يظهر

امفوض

او لم يظهره فليس بايديهم شيء ثم يقول اخرا لا حاجة لك الى هذا العمل لانك
ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت شقيا لم ينفعك العمل ففيم
تجتهد وتترك راحتك وتضر نفسك فان عصمه الله تعالى رده بان قال انما انا
عبد وعلى العبد امتثال امر سيده والرب اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء ويفعل ما يريد
لانه ينفعني العمل كيف ما كنت ان كنت سعيدا احتجت اليه لزيادة الثواب
وان كنت شقيا فكذلك لئلا الوم نفسي على ان الله تعالى لا يعاقبني على
الطاعة بكل حال ولا يضرني على اني ان دخلت النار وانا مطيع احب الي من
ان ادخلها وانا عاص فكيف ووعده تعالى حق وقوله صدق وقد وعد على الطاعات
بالثواب فمن اتقى الله تعالى على الايمان والطاعة لن يدخل النار البتة ودخل الجنة
لوعده الصادق ولذا قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وان
حكاية عن اهل الجنة
الله تعالى مسبب الاسباب وقد جرى عادته في الدنيا والاخرة على ربط الاشياء
بالاسباب الظاهرة كالغيث للنبات والجماع للولد والصيف لنضج الثمار
وقد قال الله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون افنجعل المتقين
كالفجار فان لم يزل هذه الوسوسة بامثال هذه الاجوبة ويعود بان الاعمال
الصالحة اذا مقدرة فلا نقدر على مخالفة تقدير الله تعالى فان قدر لنا الاعمال الصالحة
والسعي لها والقصد اليها حصلت لا محالة وان لم يقدر استحال وجودها فنحن
مجبورون على العمل او الترك فلا يفيد القيل والقال فقل ان الله تعالى
وان كان خالق افعال العباد كلها وغيرها لا خالق غيره لكن للعباد اختيارات
جزئية وارادات قلبية قابلة للتعلق بكل من الضدين الطاعات والمعاصي و
ليس لها وجود في الخارج حتى يحتاج الى الخلق وتعلق بها اذ الخلق ايجاد المعدوم
فما لا يوجد لا يكون مخلوقا فلا يكون مريدها خالقها وقد جعلها الله تعالى شرطا

عادیاً لخلقه افعال العباد وکون افعال العباد بعلم الله تعالی وارادته وتقدیره
وکتبه فی اللوح لا یستلزم کون صدورها من العباد بالجبر کما اذا علم زید جمیع ما یفعله
عمرو یوما من الایام فاراده وکتبه فی قرطاس فهل یکون عمرو فی فعله مجبورا من
زید وهل یکون له ان یقول لزید فعلت لعلمک وارادتک وکتبک ایاه فان
عمرا فعله باختیاره وارادته لا لاجل علم زید وارادته وکتبه فلا یتصور فیه
الجبر فکذا فیما نحن فیه فتدبر وکن من الشاکرین وهذا الجواب قاطع لهذه
الوسوسه ومعنی قول السلف لا جبر ولا تفویض ولکن امر بین امرین واما علی
قول الاشعری القایل بالجبر المتوسط اعنی کون افعال العباد باختیارهم لا
بالاضطرار کما تقول الجبریة فانه جبر محض ولکن الاختیار من الله تعالی بالجبر والاضطرار
فنحن مختارون فی افعالنا مضطرون فی اختیارنا فهذا معنی الجبر المتوسط
فلا محیص من هذه الوسوسة وهو مخالف لقول السلف اذ لا فرق بینه وبین
الجبر المحض فی الحقیقة فای نفع فی وجود اختیار اضطراری واما قوله فیلزم
ان یکون للاختیار اختیار فیدور ویتسلسل فمنقوض باختیار الله تعالی فجوابه
جوابه وحله ان الاختیار ان کان قصدا واصالة فلا بد له من اختیار مغایر له سابق
علیه بالضرورة واما ان کان ضمنا وتبعا فلا بل یکون اختیار المقصود اختیارا
لنفسه ضمنا والتزاما کما یشهد له الوجدان والترجیح بلا مرجح جائز عند المتکلمین
فی الفاعل المختار وانما الممتنع الترجح بلا مرجح فیجوز ان یتعلق الارادة بشیء
بلا مرجح وداع فلا یرد ان تعلق الارادة لا بد له من مرجح فان کان من خارج
یلزم الایجاب وان کان من نفس المرید تنقل الکلام علیه انه بالاختیار او
بالاضطرار فیلزم اما الدور او التسلسل او الایجاب فاذا تمهد هذه المقدمة
فلنشرع فی المقصود فنقول من المترددات بین الریاء والاخلاص ان الرجل

ان الرجل قد يبيت مع قوم فيقومون للتهجد كل الليل او بعضه وهو ممن لا يقوم اصلا
او يقوم قليلا من قيامهم فاذا راهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على معتاده
وكذلك قد يقع في موضع يصوم اهله تطوعا ينبعث له نشاطه في الصوم فربما
نطق انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له
تفصيل فان النشاطه لزوال الغفلة بمشاهدة الغير وقد اقبلوا على الله تعالى و
اعرضوا من النوم والاكل او لاندفاع العوايق والاشتغال التي في بيته مثل تمكنه
على فراش وثير او تمكنه من التمتع بزوجته او امته او لهوه باهله واقاربه
او الاشتغال باولاده وحساب معاملته او لمفارقة النوم لاستنكاره الموضع او
لسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وقد يتعسر عليه الصوم
في منزله ومعه لطائب الاطعمة طعمة فاذا اعوزته تلك الاطعمة لم يشق عليه فهذه
والنشاطها ليست برياء فعليه الموافقة والعمل والشيطان عند ذلك ربما يصد
عن العمل ويقول لا تعمل ما لا تعمل في بيتك فتكون مرائيا وان كان نشاطه طلبا
لمحمدتهم او خوفا من ذمهم او نسبتهم اياه الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون
انه يقوم بالليل او يصوم تطوعا فلا تسمح نفسه بان تسقط من اعينهم فيريد
ان يحفظ منزلته في قلوبهم وعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص
وانما كنت لا تصلي في بيتك لكثرة العوايق فلا يجوز له ان يزيد على معتاده
لانه يعصي الله بطلب محمدة الناس او دفع ذمهم وسقوط منزلته عندهم بطاعة
الله تعالى لانه رياء محظور والعلامة الفارقة بينهما ان يعرض على نفسه انها
لو رات هولاء يصلون ويصومون من حيث لا يرونه من وراء حجاب هل كانت
تسمحوا بالصلوة والصوم فاخلاص بموافقتهم او لا تسمحوا او يثقل لعدم اطلاعهم
عليها فرياء لا يزيد على المعتاد ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة عند الناس

قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للرايات فراقب
قلبك وميز بينهما بالعلامة السابقة وامثالها فان لم يمكن فاستعن بالله تعالى فانه يفضيه والا
فاحذر ومن ذلك اظهار الطاعة فان الباعث عليه قد يكون قصد الاقتداء
فيكون افضل من الاخفاء وعن ابن عمر رضي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
عمل السر افضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء وهذا
لا يكون الا في المقتدى به وقد يكون الباعث الرياء وللابليس تلبيس في
كلا الجانبين فعليك التيقظ فان اشتبه عليك فعليك بالاخفاء
فانه لا ضرر فيه البتة الا ان يكون الاظهار واجبا او سنة مثل الجماعة ومن ذلك
التحديث بما فعله من الطاعات بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار نفسه الا انه اذا
تطرق اليه الرياء لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بل يكون تحديثه معصية جديدة
وبالجملة الاخفاء في العبادات التي لا يلزم اظهارها افضل من الاظهار الا عند التيقن
بقصد التعليم والاقتداء فالاظهار ح افضل وقس على هذا امثالها ومن مكايد
الشيطان ان للرجل قد يكون له ورد معين كصلاة الضحى و[illegible] فيقع في قوم
لا يفعلون بهما فيتركهما خوفا من الرياء فهذا غلط ومتابعة للشيطان اذ مداومته
اي بقاؤه دليل على الاخلاص فمجرد وقوع خاطرة الرياء في القلب بلا اختيار
وقبول ليس بضار ولا رياء ولا مخل بالاخلاص فترك العمل لاجله موافقة
للشيطان وتحصيل لغرضه نعم عليه ان لا يزيد على المعتاد ان لم يجد باعثا دينيا
وقد تركهما لا خوفا من الرياء بل خوفا ان ينسب الى الرياء ويقال انه مراء
وهذا عين الرياء لانه ترك خوفا من سقوط منزلته عندهم وفيه ايضا سوء
الظن بالمسلمين وقد يوقع الشيطان في قلبه ان تركه لاجل صيانتهم عن معصية
الغيبة لا للفرار عن ذمهم وسقوط منزلته عندهم وهذا ايضا سوء الظن بهم

بهم وصيانة الغير من المعصية انما يجب في ترك المباحات لا المستحبات والسنن
ومن هذا القبيل ترك السواك والطيلسان والمشي حافيا وركوب الحمار
ونحوها صيانة لالسنة الناس عن الغيبة وفيه ترك السنة وسوء الظن وعدم
الندامة على ترك السنة بل استحسنه وعدها عيبا ونقصانا وهذه الاشياء تكفي
لزجر العاقل مع ان الاغلب ان تركه ناشئ عن الرياء وقوله كذب ونفاق
فنعوذ بالله منها وقد يتردد بين الثلثة الرياء والاخلاص والحياء كرجل يطلب
منه صديقه قرضا ولا يسخو باقراضه الا انه يستحيي من رده ويعلم انه لو ارسل
على لسان غيره لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا يطلب الثواب فله عند ذلك
ان يشافهه بالرد الصريح فينسب لا قلة الحياء او يتعلل بكذب او تعريض فيأثم
او ينسى الا ان يوجد حاجة الى التعريض فيباح او يعطي لمجرد الحياء او هيجان
خاطر الرياء انه ينبغي ان يعطي حتى ان يثني عليك ويحمدك وينتشر اسمك
بالسخاء او حتى لا يذمك او ينسبك الى البخل او هيجان باعث الاخلاص ان
الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر ففيه اجر عظيم او ادخال سرور على قلب
صديق وقد يجتمع هذه الثلثة او اثنان وحكم التساوي الطرفين قد بينا ومن
ذلك ترك الذنوب الحاجية فانه قد يكون لله تعالى وعلامته تركها في الخلوة ايضا
وقد يكون للحياء من الناس وقد يكون لئلا يقتدى به غيره فيعظم الجرم او
لئلا يصغر في عينه فلا يقتدى به ولا يقبل قوله فيحرم عن ثواب الاصلاح
وقد يكون لئلا يقصد بشر او لئلا يذمه الناس فيعصون به وعلامته
ان يكره ذمهم لغيره ايضا او لئلا يتأذى طبعه بذم الناس فانه فيه الشعور
بالنقصان او تألم القلب بالذم ليس بحرام وانما يحرم اذا دعاه الى ما لا يجوز
نعم كمال الصدق في ان يزول عن رؤية الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه

لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا
او لئلا يشغل قلبه الفارغ بذمهم فلا يتفرغ لبعض العبادات فان بعض
الناس قد يفعل بعض الذنوب ولا يترك بعض الطاعات والكان نفلا
وقد يكون لئلا يظهر المعصية فتتضاعف خ م عن ابي هريرة رضه كل امتي معافى
الا المجاهرين او لئلا يهتك ستر الله تعالى فينبغي ان يهتك ستره في القيمة
م عن ابي هريرة رضه مرفوعا ما ستر الله تعالى على عبد في الدنيا الا ستر عليه في الاخرة
وقد يكون ليرى الناس انه ورع خائف من الله تعالى وليس كذلك فهذا
رياء محظور وما قبله كله جائز ليس برياء وحكم الممتزج معلوم مما سبق و
ستر الذنوب الماضية وعدم ذكرها على هذه الوجوه ومن المتردد بين الرياء
والحياء ان يمشي رجل على العجلة فيرى واحدا من الكبراء فيعود الى الطرد
او يضحك فيرجع الى الانقباض والاغلب فيهما الرياء لان الحياء في الاكثر
من القبايح والذنوب وهو فيهما محمود ولو من الناس سيما واما الحياء من
المندوبات والسنن والواجبات فمذموم جدا ويسمى عجزا او ضعفا و
خورا كمن يستحيي من الوعظ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والامامة
والاذان ونحوها فالقوي يوثر الحياء من الله تعالى من الناس المبحث الرابع
في علاج الرياء وذلك يتوقف على معرفة اسبابه وغوائله ومعرفة اسباب
ضده وفوائده واما اسباب الرياء فقد علم مما سبق انها حب الجاه والمنزلة
في قلوب الناس حتى يمدحونه ولا يذمونه اما لذاته او للتوسل به الى غيره
والطمع لما في ايدي الناس من الاموال والفرار من الم الذم والجهل واما غوائله فقد قال
الله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا وخرج يعلى عن ابن مسعود رضه انه صلعم
قال من احسن الصلوة حيث يراه الناس واساءها حين يخلو فتلك

فتلك استهانة استهان بها ربه تبارك وتعالى حد عن محمود بن لبيد عن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل اذا جزى الناس باعمالهم
اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون منهم جزاء حد انس
جبلة اليحصبي عن النبي عليه السلام انه قال ان المرائي ينادى يوم القيمة يا فاجر
يا غادر يا كافر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب فخذ اجرك ممن كنت
تعمل له عن الضحاك عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى
يقول انا خير شريك فمن اشرك معي شريكا فهو لشريكي يا ايها الناس اخلصوا
اعمالكم فان الله تبارك وتعالى لا يقبل من الاعمال الا ما خلص له ولا تقولوا
هذا لله وللرحم فانها للرحم وليس لله منها شيء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم
فانها لوجوهكم وليس لله فيها شيء والايات والاحاديث في ذم الريا كثيرة
جدا لا حاجة الى ذكرها ههنا وفيما ذكرنا كفاية للمسلم العاقل بل العقل يهتدي
اليه بقليل التفات اذ معنى الريا جعل عبادة الله تعالى الموضوعة لتعظيمه
والتقرب اليه وسيلة الى غيرهما وفيه قلب الموضوع وعكس المشروع وتلبيس
باعلام الناس انه يقصد بالعبادة تعظيم الله تعالى والقربة اليه مع انه ليس
كذلك في نفس الامر بل يقصد بها التقرب اليهم والتحبب لهم فلو علموا نيته
لمقتوه وهجروه والله تعالى عالم بها فهو بالمقت اولى وفيه استهانة بالله تعالى
والعياذ بالله تعالى منها واقل ما في الريا صورة تلبيس وعبادة لغير الله تعالى
فهذا الكاف في التحريم فلذا حرام كله وان تفاوت احاده في غلظة التحريم
وخفته فغائلة الريا استحقاق العذاب الاليم وابطال العمل ونقص اجره
واما سبب الاخلاص فالايمان ووجوبه وتوقف قبول كل عمل عليه واما

فوائد فقد قال الله تعالى وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ألا لله
الدين الخالص حب حك عن انس رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من
فارق الدنيا على الاخلاص لله تعالى وحده لا شريك له واقام الصلوة واتى الزكوة
فارقها والله عنه راض حك عن معاذ بن جبل رض انه قال حين بعث الى اليمن
يا رسول الله اوصني قال اخلص دينك يكفيك العمل القليل هق عن ثوبان رض
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طوبى للمخلصين اولئك مصابيح
الهدى ينجلي عنهم كل فتنة ظلماء طب عن ابي الدرداء رض عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما ابتغي به وجه الله تعالى هق عن ابي ذر رض
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد افلح من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه
سليما ولسانه صادقا ونفسه مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل اذنه مستمعة وعينه
ناظرة فاما الاذن فقمع والعين مقرة بما يوعى القلب وقد افلح من جعل
قلبه واعيا ففائدة الاخلاص رضاه وقبول العمل والنجاة والفلاح يوم
القيمة واذ اتمهد هذا فعلاج الرياء على ضربين قطع عروقه واستيصال اصوله
وذلك بازالة اسبابه وتحصيل ضده واصل اسبابه حب الدنيا واللذة العاجلة
وترجيحها على الاخرة فهذا غاية الحماقة ونهاية البلادة فان الدنيا كدرة
سريعة الزوال والاخرة صافية باقية والخلق كلهم عاجزون لا يقدرون
على شيء ولا يملكون ضرا ولا نفعا فعليك ايها العاقل ان تقتنع بعلم الله تعالى
بعبادتك ولا تطلب علم غيره أليس الله بكاف عبده وان تذكر وتكرر
على قلبك غوائل الرياء وفوائد الاخلاص المذكورتين والعلاج الثاني اخفاء
العمل واغلاق الباب الا ما لزم اظهاره والضرب الثاني دفع ما يخطر
من الرياء في الحال ورفع ما يعرض منه في اثناء العبادة فعليك في اول كل عبادة

العبادة ان تفتش قلبك وتخرج عنه خواطر الرياء وتقرره على الاخلاص وتعزم عليه
الى ان يتم لكن الشيطان لا يتركك بل يعارضك بخطرات الرياء وهي ثلثة مرتبة
العلم باطلاع الخلق او رجاءه ثم الرغبة في حمدهم وحصول المنزلة عندهم ثم قبول
النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فعليك رد كل منها اما الاول فبان
تقول مالك وللخلق علموا او لم يعلموا ان الله تعالى عالم بحالك فاي فائدة في
علم غيره واما الثاني فبتذكر آفات الرياء وتعرضه لمقت الله فيثير كراهية
في مقابلة الرغبة تدعوا الى الاباء في مقابلة القبول والنفس لا محالة تطاوع
اقوى الشقين بلا ريب فلا بد في رد خواطر الرياء من ثلثة امور المعرفة والكراهية و
الاباء وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الرياء فيقبله
بغتة ولا يحضره واحد من وجوه الرد بسبب امتلاء القلب بحب الحمد
وخوف الذم واستيلاء الحرص عليه فيعزب عن القلب آفات الرياء
فلينساها فلم تظهر الكراهية لانها ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له
خاطر الرياء وانه يعرضه لسخط الله تعالى ولكن لا يحصل الكراهية لشدة شهوته
فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيتلذذ بالشهوة فيسوف
بالتوبة او يتشاغل عن الفكر في ذلك لشدة الشهوة فكم من عالم يحضره كلام
لا يدعوا اليه الا الرياء وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه ولا يكرهه فيكون
الحجة عليه اوكد اذ قبل داعي الرياء مع علمه به وبقابلته وقد يحضر المعرفة والكراهية
معا ولكن لا يحصل الاباء بل يقبل داعي الرياء ويعمل به لكون الكراهة
ضعيفة بالنسبة الى قوة الشهوة والرغبة وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ
الغرض منها صرفه عن الفعل فاذا لا فائدة الا في اجتماع الثلثة فاذا اجتمعت
هذه الثلثة فقد برى من الرياء وتجرد خطور الرياء وميل الطبع اليه وحبه له

ومنازعته اياه لايضره اذا لم يكن منه قبول وركون بالاختيار اوليس في وسع العبد
منع الشيطان عن نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينزع اليها
وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهته وإبائه وعدم اجابته استنفادها من علم الدين
فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف به ثم اذا فرغ فعليه ان لا يتحدث به
ولا يظهره الا اذا امن من الرياء وقصد اقتداء الغير به في مظنته ويكون وجلا
من عمله خائفا ان يدخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون مردودا ممقوتا لله تعالى
ويكون هذا الخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العمل بل ينبغي ان يكون متيقنا
في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى يوجد النية اذ هي العزم المصمم
الباعث فلا يجتمع مع الشك والاحتمال فاذا شرع على اليقين ومضت لحظة
يمكن فيها الغفلة والنسيان جاء الخوف عن شائبة خفية من رياء او عجب
واما اولوية غلبة الخوف على الرجاء او العكس فقد اختلف اقوال المشايخ فيها
قال بعضهم ينبغي ان يغلب الرجاء لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في
زواله ومن قواعد الشرع ان اليقين لا يزول بالشك فبذلك يعظم لذته في
المناجات والطاعات وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الرياء
الكائن سبق عنه وهو غافل والمنقول عن اكثر المشايخ غلبة الخوف حتى نقل
عن رابعة رضي قيل لها ما ترجين انها قالت يأسي من جل عملي والذي
عندي اختلاف ذلك باختلاف الاشخاص والاحوال فان المبتدي ومن
فيه بقية من آثار العجب والامن والغرور او البطالة ينبغي لهما غلبة الخوف ولغيرها
غلبة الرجاء او المساوات والعلم عند الله تعالى الثاني عشر من آفات القلب الكبر
وفيه خمس مباحث الاول في تفسير الكبر وضده ومناسبهما وحكمهما الكبر هو الاستعظام
والركون الى رؤية النفس فوق من تكبر عليه فلا بد له منه بخلاف العجب والكبر حرام

حرام ورذيلة عظيمة من العباد وضده الضعة وهي الركون الى رؤية النفس دون غيره
وهي فضيلة عظيمة من المخلوق واظهار الكبر موجودا او معدوما حقا او باطلا بقول او
فعل تكبر والاستكبار يختص بالباطل فلهذا لا يوصف الله تعالى به بخلاف التكبر
والتكبر حرام الا على المتكبر فانه قد ورد فيه انه صدقة والا عند القتال وعند الصدقة
د عن جابر رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول فاما الخيلاء التي يحبها الله
فاختيال الرجل نفسه عند القتال واختياله عند الصدقة اظهار الغنى وعدم الالتفات
الى المال واستصغاره واستقلاله ليقصده الفقراء بنشاط وامن من المن و
الاذى والا التكبر بالمراآت باسباب الدنيا بدون الكبر فانه ليس بحرام وان كان
مذموما وقد مر ويجيء ان شاء الله تعالى واظهار الضعة بما دون مرتبته قليلا تواضع
محمود وان كان كثيرا فتملق مذموم الا في طلب العلم عدى عن معاذ وابي امامة رضه
مرفوعا ليس من اخلاق المؤمن التملق الا في طلب العلم وفي تعليم المتعلم التملق
مذموم الا في طلب العلم فانه ينبغي ان يتملق لاستاذه وشركائه ليستفيد منهم انتهى
وان اكثر فتذلل حرام الا لضرورة وهو الثالث عشر من افات القلب كالعالم
اذا دخل عليه الاسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له
نعله وعدا الى باب الدار خلفه فقد تخاسس وتذلل واما لو تواضع له بالقيام
والبشر والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وان لا يرى نفسه
خيرا منه ولا يحقره ولا يستصغره ومنه السؤال لمن له قوت يومه بنفسه ويجيء
ان شاء الله تعالى في افات اللسان ومن السؤال اهداء قليل لاخذ كثير كما
يفعل في دعوة العرس والختان وكمن يريد الحج وغيره اذ دخل قيل فيه نزل
قوله تعالى ولا تمنن تستكثر ومنه الذهاب الى الضيافة ووصية الميت بلا دعوة
د عن عبد الله بن عمر رضه انه قال قال عليه السلام من دعي ولم يجب فقد عصى الله

تذلل

السؤال

ورسوله ومن دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا ومنها الاختلاط الى
القضاة والامراء والعمال والاغنياء طمعا لما في ايديهم بلا ضرورة ومنها السجود و
الركوع والانحناء للكبراء عند الملاقات والسلام ورده والقيام بين يدي الظلمة
وتقبيل ايديهم وثيابهم وليس منه مباشرة اعمال البيت وحاجاته ككنس البيت
وطبخ الطعام وحمل المتاع من السوق الى البيت ولبس الخشن والخلق والمرقع
والمشي حافيا ولعق الاصابع والقصعة واكل ما سقط على الارض من الطعام
والتقاط دقاق الخبز ونحوه من السفرة او الحصير او الارض ومجالسة المساكين ومواكلتهم
وانواع الكسب من البيع والشراء واجارة نفسه للاعمال المباحة كرعي الغنم وسقي
البستان والكرم وعمل الطين والبناء وحمل الحطب على ظهره فان كل ذلك وامثاله
تواضع فعله الانبياء والاولياء واكثره صدر من سيد المرسلين عليه وعليهم صلوات
الله وسلامه اجمعين وصحابته المكرمين رضوان الله عليهم اجمعين والتجنب منه
والاستنكاف عنه كبر من اخلاق الجبارين ولكن كثيرا من الناس لجهلهم يعكسون
الامر المبحث الثاني في اقسام الكبر والتكبر وآفاتهما فمنه يعرف العلاج الجلي وقد
عرفت انه لابد للكبر والتكبر من متكبر عليه وهو اما الله تعالى وهو افحش انواع الكبر
مثل نمرود حيث حدثت نفسه ان يقاتل رب السماء عز وجل ومثل فرعون
حيث قال انا ربكم الاعلى واما الرسول صلى الله عليه وسلم كبعض الكفرة حيث
قالوا أهذا الذي بعث الله رسولا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين
عظيم واما سائر الخلق وغائلة الكبر والتكبر منازعة العبد المملوك العاجز الضعيف
الذي لا يقدر على شيء لله الملك المالك القادر القوي على كل شيء في
صفة لا يليق الا بجلاله تعالى والثاني يؤدي الى مخالفته تعالى في اوامره ونواهيه كابليس
قال أأسجد لمن خلقت طينا انا خير منه خلقتني من نار فاسمع الحق من

من المتكبر عليه استنكف من قبوله وتشمر لجحده ويكفيك فيه قوله تعالى سأصرف عن آياتي
الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وكذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ابى واستكبر
وكان من الكافرين د عن ابي هريرة رضه انه قال قال صلعم قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار ولا ابالي م ت عن ابن مسعود رضه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل
ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال صلعم ان الله جميل يحب الجمال
الكبر بطر الحق وغمط الناس ت عن ثوبان رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات وهو بريء من الكبر والغلول (خيانة) والدين دخل الجنة حق عن انس رضه عن
النبي صلى الله عليه وسلم ان في النار توابيت يجعل فيه المتكبرون فيقفل عليهم طب عن
عبد الله بن سلام رضه انه مر بالسوق وعليه حزمة من الحطب فقيل له ما يحملك على هذا
وقد اغناك الله تعالى من هذا قال اردت ان ادفع الكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يدخل الجنة من في قلبه خردلة من كبر م عن ابي هريرة رضه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلثة لا ينظر الله تعالى اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم
شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر حك عن طارق رضه انه خرج عمر رضه الى
الشام ومعنا ابو عبيدة رضه فاتوا على مخاضة وعمر رضه على ناقة فنزل وخلع خفيه
فوضعهما على عاتقه واخذ بزمام ناقته فخاض في الماء فقال ابو عبيدة رضه يا
امير المؤمنين انت تفعل هذا ما يسرني ان اهل البلد استشرفوك فقال
اوه ولم يقل واعزك ابا عبيدة جعلته نكالا لامة محمد صلى الله عليه وسلم انا كنا
اذل قوم فاعزنا الله تعالى بالاسلام فمهما نطلب العز بغير ما اعزنا الله تعالى به
اذلنا الله تعالى ت عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده رضه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يحشر المتكبرون يوم القيمة امثال الذر في صور الرجال يغشاهم

الذل من كل مكان يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار الانيار

يسقون من عصارة اهل النار طينة الخبال م عن محمد بن زياد رضي الله عنه انه قال كان

ابو هريرة رضي الله عنه يستخلف على المدينة فياتي بحزمة الحطب على ظهره فيشق السوق وهو

يقول جاء الامير وفي رواية طرقوا الامير حتى ينظر الناس اليه خ عن ابن عمر رضي الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل ممن كان قبلكم يجر ازاره من الخيلاء

خسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيمة ت عن جبير بن مطعم رضي الله عنه انه قال

يقولون في التيه وقد ركبت الحمار ولبست الشملة وقد حلبت الشاة وقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم من فعل هذا فليس فيه من الكبر شيء المبحث الثالث

في اسباب الكبر والتكبر اعني ما به الكبر وفي التكبر والعلاج التفصيلي وهي سبعة باعتبار

الجهل المقارن بها لا انها في انفسها اسباب تامة وعلل موجبة فسببيتها في الحقيقة

راجعة الى الجهل فعلاجه ازالته وسننبته ان شاء الله تعالى الاول العلم وهو اعظم

الاسباب واشدها واصعبها علاجا لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى وعند

الناس وقد سمعت ما ورد في فضله والحث على تعلمه وكونه فرضا فلا مجال لقلعه

من اصله وترك تعلمه فانما علاجه بمعرفتين معرفة ان فضله انما هو بمقارنة

النية الصالحة والعمل به ونشره لله تعالى بلا طمع نفع من الناس واخذ مال عليه

والا فينقلب عليه فيصير اخس مرتبة من الجاهل واشد عذابا منه على القول

الاصح فكيف تكبر به عليه ويدل على هذا ما خرج ت عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما لغير الله تعالى او اراد به غير الله تعالى فليتبوأ مقعده

من النار م عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم

علما مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه الا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف

الجنة يوم القيمة يعني ريحها طك عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

صلعم علماء هذه الامة رجلان رجل اتاه الله تعالى علما فبذله للناس ولم ياخذ
عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يستغفر له حيتان البحر ودواب البر والطير في جو السماء
ورجل اتاه الله تعالى علما فبخل به من عباد الله تعالى واخذ عليه طمعا وشرا به ثمنا فذلك
يلجم يوم القيمة بلجام من نار وينادي مناد هذا الذي اتاه الله علما فبخل به من عباد الله تعالى
واخذ عليه طمعا وشرى به ثمنا وذلك حتى يفرغ من الحساب خ م عن اسامة بن زيد رضه
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه
اهل النار فيقولون يا فلان ما لك الم تكن تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول
بلى كنت امر بالمعروف ولا اتيه وانهى عن المنكر واتيه وزاد في رواية مسلم قال اني
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مررت ليلة اسري باقوام تقرض شفاههم
بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال خطباء امتك الذين يقولون
ما لا يفعلون طب عن انس بن مالك رضه عن النبي عليه السلام انه قال الزبانية
اسرع الى فسقة القراء منهم الى عبدة الاوثان فيقولون يبدأ بنا قبل عبدة الاوثان
فيقال لهم ليس من يعلم كمن لا يعلم عك عن انس رضه انه قال قال صلعم العلماء
امناء الرسل على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا فاذا دخلوا في
الدنيا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل فاعتزلوهم ز عن معاذ بن جبل رضه
انه قال تعرضت او تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت
فقلت له يا رسول الله اي الناس شر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم غفرا
سل عن الخير ولا تسل عن الشر شرار الناس شرار العلماء طص عن ابي هريرة رضه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه علمه جب
هق عن منصور بن زاذان قال نبئت ان بعض من يلقى في النار يتاذى

اهل النار بركبه فيقال له ويلك ما كنت تعمل انا يكفينا ما نحن فيه حتى ابتلينا بك

بنتن ريحك فيقول كنت عالما فلم انتفع بعلمي حب عن ابي الدرداء رضه انه قال

لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا حل عن انس رضه انه قال قال صلعم يكون في

اخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق مج عن ابي سعيد رضه انه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من كتم علما مما ينتفع الله به في امر الناس في الدين الجم يوم القيمة

بلجام من النار ط عن عمر بن الخطاب رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليظهر الاسلام حتى يختلف التجار في البحر وحتى يخوض الخيل في سبيل الله تعالى ثم يظهر

قوم يقرؤن القران يقولون من اقرأ منا من اعلم منا من افقه منا اولئك منكم

من هذه الامة واولئك هم وقود النار طب عن مجاهد عن ابن عمر رضه انه قال

لا اعلم الا عن النبي عليه السلام انه قال من قال اني عالم فهو جاهل ولا ارى عالما منصفا

اذا نظر وتامل في احواله واعماله يحكم لنفسه انها بريئة من هذه الافات بل الظن ان

يحكم عليها بها او ببعضها فتكبره بالعلم جهل محض وثانيا في معرفتين ان يعرف ان

الكبر من العباد حرام وانه لا يليق الا بالله تعالى وانه صفة مختصة به تعالى ولو سلم ان

العالم بريء من الافات المذكورة وان لعلمه فضلا فعلمه يورث خشية من الله تعالى

قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ونو اضعا لا جراءة مع الله تعالى وامنا منه

وكبرا على عباده وعجبا فلهذا صار الانبياء متواضعين خاشعين لم يكن فيهم كبر

ولا عجب فحق العبد ان لا يتكبر على احد فان نظر الى جاهل يقول هذا عصى به

تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فهذا اعذر مني وان نظر الى عالم يقول هذا علم

ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى اكبر منه سنا يقول انه اطاع الله تعالى قبلي

وان نظر الى صغير يقول اني عصيت الله تعالى قبله وان نظر الى مساويه سنا يقول

اني اعلم بحالي ولا اعلم بحاله والمعلوم اولى بالتحقير من المجهول وان نظر الى مبتدع

مبتدع او كافر يقول ما يدريني الله لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الان
وان نظر الى كلب او خنزير او حية او عقرب او نحوها يقول هذا لم يعص الله تعالى
فلا عتاب ولا عقاب عليه وانا عصيته فانا مستحق لهما فيكون مصروف الهم الى نفسه
مشغول القلب بعيبه لخوفه لعاقبته من عيب غيره فان قلت فكيف ابغض المبتدع
والفاسق في الله تعالى وقد امرت به وكيف انهاهما عن المنكر مع رؤية نفسي دونهما
قلت تبغض وتنهى لمولاك اذ امرك بهما لا لنفسك وانت فيهما لا ترى لنفسك
ناجيا وصاحبك هالكا في النار بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله تعالى من
خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليهما مع الجهل بالخاتمة فتكون كغلام ملك امره
بمراقبة ولده والغضب عليه وضربه مهما اساء فيغضب عليه ويضربه عند الاساءة
امتثالا لامر مولاه وتقربا له به بلا تكبر عليه بل هو متواضع له يرى قدره عند مولاه
فوق قدر نفسه فكذلك عليك ان تنظر الى المبتدع او الفاسق وتقول ربما كان قدره
عند الله تعالى اعظم لما سبق لهما من حسن العاقبة في الازل ولما سبق لي من سوء العاقبة
وانا غافل عنه فتغضب وتنهى لحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما تكرهه مع التواضع
لمن يجوز ان يكون اقرب منك عنده في الاخرة والثاني في العبادة والورع فان
العابد الورع قد يتكبر على الفاسق بل على من لا يعمل مثل عمله من النوافل والاحتراز
من الشبهات وفضول الحلال وهذا التكبر من الجهل فعلاجه ايضا معرفة ان موقع
ان فضل العبادة والورع انما يكون باستجماعهما الشرائط والاركان ومجانبتهما المفسدات
والمكروهات ومقارنتهما النية الصادقة والاخلاص والتقوى وصونهما من المحبطات
والمبطلات وحصول هذه باسرها من امثالنا متعسر بل متعذر لا سيما الاخلاص
والتقوى فلذا قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى مشيرا بان تزكية النفس
انما يكون بالتقوى وانها لا يعلم كنهها وحقيقتها الا الله تعالى والمعرفة الثانية مثل

ما سبقت فتذكرها والثالث النسب والحسب والكبر بهما ناشئ عن الجهل الغا
كانه تعزز بكمال غيره ولذا قيل لئن فخرت باباء ذوي شرف لقد صدقت
ولكن بئس ما ولدوا وقال عليه السلام فيما خرجه من ابطا به عمله
لم يسرع به نسبه النظر الى ابن ادم قابيل وابن نوح كنعان هل نفعهما نسبهما
ثم انظر الى نسبك الحقيقي فان اباك القريب هو نطفة قذرة وجدك البعيد
تراب ذليل فكيف يليق بك التكبر بالنسب والرابع الجمال وذلك اكثر ما
يجري في النساء وهذا الجهل اذ هو فان سريع الزوال لا تنظر الى ظاهرك
نظر البهائم وانظر الى باطنك نظر العقلاء اذ انك نطفة مذرة خرجت من
مجرى البول ودخلت في اخر واختلطت باخرى وهو دم الحيض ثم خرجت منه مرة
اخرى واخرك جيفة قذرة وانت بينهما حمال العذرة الرجيع في امعائك والبول
في مثانتك والمخاط في انفك والبزاق في فيك والوسخ في اذنيك والدم في
عروقك والصديد تحت بشرتك والصنان تحت ابطك وتغسل الغائط كل يوم
مرة او مرتين بيدك وتتردد الى الخلاء كل يوم مرة او مرتين وكل هذا سبب الضعة
والذل والحياء فضلا عن الكبر والخيلاء والخامس القوة وشدة البطش والتكبر بها
جهل ايضا اذ الحمار والبقر والجمل والفيل كل ذلك اقوى من الانسان واي افتخار
في صفة يسبقك البهائم فيها ثم انها تزول بحمى يوم او نحوها فلا تقدر على حفظها
ولا على تحصيلها بل هو كظل زائل ونوم نائم والسادس المال والتلمذ ومتاع الدنيا
والسابع الاتباع من البنين والاقارب والغلمان والجواري والتلامذة و
التقرب من السلطان وولاته وقضاته وهذا من اقبح انواع اسباب الكبر
لانه تكبر بما هو خارج من ذات الانسان سريع الزوال والانقلاب يشترك فيه
اليهود والنصارى لو هلك ماله واتباعه او عزل او مات سيده كان اذل

اذل الخلق واحقرهم فاف لشرف يسبقك به اليهود واف لشرف ياخذه السارق
في لحظة ثم ان التكبر فقط ثلثة اسباب اخر الحقد كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه
ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه فاورثه حقدا ورسخ في قلبه بغضه فلا تطاوعه نفسه
ان يتواضع له ويحمله على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانف من قبول نصحه وعلى ان يجتهد
في التقدم عليه والحسد فانه يدعو الى جحد الحق والتكبر على المحسود مع معرفته بفضله عليه
وعلاج التكبر بهذين ازالتهما وسيجيء ان شاء الله تعالى والرياء حتى ان الرجل ليناظر
من الناس من يعلم انه افضل منه وليس بينهما معرفة ولا حقد ولا حسد ولكن يمتنع
من قبول الحق ويتكبر عليه خيفة ان يقول الناس انه افضل منه ولو خلا معه بنفسه لكان
لا يتكبر عليه وقد يكون الباعث على التكبر المرايات باسباب الدنيا كمن يلبس في بيته
ما لا يلبس عند الناس ولا يستنكف من حمل حوائجه بين الناس ويحملها في الليل وحيث
لا يراه الناس المبحث الرابع في علامات الكبر والتكبر اعلم ان الكبر قد يخفى على صاحبه
حتى يظن انه بري منه فلا بد من بيان اخلاق المتكبرين حتى يعرض كل سالك نفسه
عليها فيميز الخبيث من الطيب فلا يغتره الغرور فمنها ان يحب قيام الناس له او
بين يديه تعظيما لنفسه بلا وجدان كراهة من نفسه لهذا الحب بل القبول والركون
اليه فان وجد كراهة وعدم اجابة في نفسه فميل طبعي او وسوسة لا يضران كما ذكرنا
في الرياء ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه ديلم صح من ابي امامة ره انه صلعم
خرج يمشي الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى خلفهم
فسئل من ذلك فقال اني سمعت خفق نعالكم فاشفقت (حذرت) ان يقع في نفسي شيء
من الكبر ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير له او لغيره من تعليم
التواضع ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه
ومنها ان يتوقى مجالسة المرضى والمعلولين ويتحاشى عنهم ومنها ان لا يتعاطى

بين شغلا في بيته ومنها ان لا يحمل متاعه الى بيته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعل هذه المنفيات ومنها ان يستنكف عن لبس الدون من الثياب
وقد قال عليه السلام فيما خرجه [...] من ابي امامة رضه البذاذة من الايمان ومنها ان
يستنكف عن دعوة الفقير لا عن دعوة الغني الشريف ومنها ان يستنكف عن
قضاء حاجة الاقرباء والرفقاء في السوق خصوصا شراء الاشياء الخسيسة كالصابون
والكبد والكرش والحناء والنورة والمصطكي والمشط ومنها ان يثقل عليه تقدم الاقران
في المشي والجلوس بحيث ان مشى او جلس باحدهم يمشي خلفهم ويجلس تحتهم
متصلا به فان اتفق ذلك فاما ان يذهب ويفارق فلا يمشي ولا يجلس او يبعد
عنه في المشي والجلوس بحيث يكون بينهما اشخاص ممن يعلم كلهم انهم ادون منهم
ليظهر انه اختار التواضع اذ لو كان متصلا او ضرا عنه لظن انه ادون منه ومنها
عدم قبول الحق عند مناظرة الاقران من صاحبه ومنها عدم الاعتراف بخطائه
والشكر له اما لعدم الاصغاء والتامل في كلامه احتقارا او استصغارا له او عنادا
او مكابرة فكل هذه ان كان في الملأ فقط فرياء وان فيه وفي الخلوة فكبر المبحث
الخامس في اسباب الضعة والتواضع وفايدتهما اما الاول فهي معرفة نفسه من اين
الى اين ومعرفة عيوبه وغوائل الكبر وفوائد التواضع وفضائله من كونه من اخلاق
الانبياء والاولياء والعلماء والصالحين ومحمودا عند الله تعالى وسببا لرفع الدرجات
في الدارين وكان القياس ان ينزل العبد نفسه منزلته لا دونها ولا
فوقها كالشجاعة بين التهور والجبن والعفة بين الشره والخمود والسخاء بين
البخل والاسراف فان خير الامور اوساطها لكن لما كان النفس مائلة بالطبع
الى العلو كان الاحوط والانسب حطها عن مرتبتها قليلا اذ ربما لا يدري
مرتبتها فينزل نفسه فوقها غفلة وحبا للعلو اذ حب الشيء يعمي ويصم وهذا

وهذا في التواضع اما في الضعة فالاولى ان يرى نفسه ادنى من كل مخلوق هذا داب السلف الصالحين حتى قال الشبلي رحمه الله ذلي عطل ذل اليهود وقال ابو سليمان الداراني لو اراد جميع الخلق ان يضعوني ادنى مما في نفسي من الضعة ما قدروا عليه فان اختلج في قلبك انه كيف يتصور ان يرى الانسان نفسه ادنى من فرعون والبليس فقل ان الله تعالى خذلهما واضلهما فوقعا فيما وقعا ووفقني وهدا في الايمان و الطاعة فلو عكس لعكس وليس اجتناب نفسي مما فعلاه من ذاتها بل من عناية الله تعالى وانا اعلم من نفسي من الخبائث الكبيرة والعيوب العظيمة ما لا اعلم منهما والمعلوم ادنى من المشكوك والمجهول ولا اعلم كيف اموت ويحتمل والعياذ بالله تعالى ان اموت على الكفر فاشاركهما في العذاب المخلد ولنذكر ما ورد في فضائل التواضع د عن عياض رضي الله عنه عن النبي عليه السلام ان الله تعالى اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا يفخر احد على احد طب عن ركب المصري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن تواضع في غير منقصة وذل في نفسه من غير مسكنة وانفق ما لا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكم طوبى لمن طاب كسبه وصلحت سريرته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وانفق الفضل من ماله وامسك الفضل من قوله حب عن ابي سعيد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من تواضع لله تعالى درجة يرفع الله تعالى درجة حتى يجعله في اعلى عليين ومن تكبر على الله درجة يضعه الله تعالى درجة حتى يجعل في اسفل السافلين طط عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تواضع لاخيه المسلم رفعه الله تعالى ومن ارتفع عليه وضعه الله تعالى وقد يكون سبب التواضع السخرية و النفاق والرياء والطمع والخوف فيكون رذيلة بحسب العارض والكيف فعليك

العجب

14

بصيانته منها الرابع عشر العجب وهو استعظام العمل الصالح وذكر حصول شرفه
لشيء دون الله تعالى من النفس او الناس وقد يطلق على مطلق استعظام النعمة
والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم وضده ذكر المنة لله تعالى وهو ان تذكر
انه بتوفيق الله تعالى وانه شرفه وعظم ثوابه وقدره هذا الذكر فرض عند دواعي
العجب وسبب العجب في الحقيقة الجهل المحض او الغفلة والذهول فعلاجه الجملي
معرفة ان كل شيء بخلق الله تعالى وارادته وان كل نعمة من عقل وعلم وعمل وجاه
ومال وغيرها من الله تعالى وحده والتنبه والتيقظ بذكره واخطاره بالبال وفي الظاهر
اسباب الكبر السبعة السابقة والعلاج التفصيلي يعرف مما سبق فعلى السالك الشكر
على كل ما وجد فيه من النعم من علم وعمل وغيرهما وعلى توفيق الله تعالى وعونه ونصره
وخلقه واعطائه اياه له ومن اقوى العلاج معرفة آفاته وهي كثيرة ويكفيك انه
سبب للكبر ونسيان الذنوب ونعم الله تعالى بالتوفيق والتمكين والامن من مكر الله تعالى
وعذابه وان يرى ان له منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعم الله تعالى وعطية
من عطاياه ويدعوا الى ان يزكي نفسه ويمنعه من الاستفادة والاستشارة روي
عن انس رض عن النبي عليه السلام ثلث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه وعنه عن النبي عليه السلام انه قال لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من
ذلك العجب العجب واقبح العجب العجب بالرأي الخطأ فيفرح به ويصر عليه ولا يسمع
نصح ناصح بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا
عليها لعجبهم بآرائهم وعلاج هذا العجب اعسر واصعب اذ صاحبه يظنه علما لا
جهلا ونعمة لا نقمة وصحة لا مرضا فلا يطلب العلاج ولا يصغي الى الاطباء وهم

الحسد

15

علماء اهل السنة والجماعة الخامس عشر الحسد وفيه اربعة مباحث المبحث الاول

الاول في تفسيره وضده ومناسبهما وحكمهما الحسد ارادة زوال نعمة الله تعالى من احد
مما له فيه صلاح ديني او دنيوي من غير ضرر في الاخرة او عدم وصولها اليه وحبه من
غير انكار له لو وقع في قلبك من غير اختيار ووجدت الانكار لوقوعه فيه فلا باس
بالاتفاق فان لم تجد او وقع باختيار وارادة زوال او عدم وصول فان عملت
بمقتضاه او ظهر اثره في بعض الجوارح فحسد حرام بالاتفاق وان لم تعمل بمقتضاه ولم يظهر
اثره اصلا وكان الموجود في القلب نفسه فقط فحسد اختلفوا في حرمته وكون
صاحبه اثما ومختار الامام الغزالي حرمته وظن هذا الفقير عدمها لقوله صلعم ثلث
لا ينجو منهن احد الظن والطيرة والحسد وساحدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت
فلا تحقق فاذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ خرجه دنيا وحمل الامام
الغزالي هذا على حب الطبع لزوال نعمة العدو ومع الكراهة من جهة الدين والعقل
غير موجه اذ الحسد حقيقة في الارادة التي هي ضد الكراهة فلا يجامعها كما لا يجامع
الشهوة اعني حب الطبعي ضدها الذي هو النفرة بخلاف كل من الاولين فانه يجامع
كلا من الاخريين والاوليان اختياريتان والاخريان اضطراريتان لا يوصفان بالحل
والحرمة وقوله عليه السلام فلا تبغ من النهي الذي هو فعل الجوارح وسئل الحسن عن الحسد
فقال غمة لا تضرك ما لم تبده ولقوله صلعم ان الله تعالى تجاوز عن امتي عما حدثت
انفسها ما لم تكلم او تعمل به خرجه خ م من ابي هريرة رضه وحمل الامام الغزالي على ميل
الطبع بلا اختيار مردود من اربعة اوجه الاول ان غير الاختياري لا يدخل تحت
التكليف فلا ذنب فيه فلا عفو وتجاوز مع ان معنى عفا والثاني ان غير الاختياري
لا يواخذ به امة من الامم فلا وجه للتخصيص ح بقوله صلعم امتي والثالث ان
ذلك الحمل انما يصح على رواية رفع انفسها واما على رواية نصبها فلا اذ الرفع دال
على الاضطرار والنصب على الاختيار والرابع ان اخر الحديث المذكور ينافي ذلك الحمل

لانه يفيد معنى الغاية فتقدير الحديث عفا الله تعالى عن امتي كلما حدثت به انفسها
الى ان يظهر اثره على الجوارح اما بالتكلم او بالعمل فيدخل في العفو الهم والعزم بالقلب
بعد ميل الطبع اذا لم يتكلم ولم يعمل به والمراد بالتكلم تكلم هو اثر من اثاره ومقتضى من
مقتضياته كالغيبة والقدح والسب في الحسد وسوء الظن وكذلك المراد بالعمل
فان قلت ان مجرد اعتقاد الكفر والبدعة حرام لا يعفى فلم لا يكون مجرد سوء الظن
والحسد ونحوهما كذلك مع ان كلا منهما فعل قلبي فما الفرق بينهما قلت الاولان
قبحهما وحرمتهما لذاتهما وقبح ما نحن فيه وحرمته لسببية العمل القبيح فاذا تجرد عنه
ولم يفض اليه لا يبعد ان يرتفع عنه الحرمة والاثم ولا سيما في امة محمد صلى الله عليه وسلم
خير امم لتشريف حبيبه وتكريم صفيه نعم قصد المعصية وهمها لا سيما العزم المصمم
فلما يوجد بدون الاثر على جوارح ولا كلام ان الكمال ان يخلي الانسان قلبه
من العزايم الفاسدة والصفات الخبيثة وتحليته بالنيات الصالحة والصفات الحميدة
واما الريا بطاعة او دليلها فلا ينفك عن عمل بمقتضاه فان الاجتناب من بعض
الشبهات ليرى الناس انه ورع كف الجوارح عنها وهو عمله والذكر القلبي والتفكر
عمل قلبي وكلاهما عمل بمقتضى الريا واما كف الحسود الجوارح فليس العمل بمقتضى حسده
بل عمل بضد مقتضاه واما الكبر والعجب فمن قبيل اعتقاد الكفر والبدعة والله تعالى
اعلم وان لم ترد زوال النعمة ولكن اردت لنفسك مثلها فهو غبطة ومنافسة
ليست بحرام بل مندوب في الديني وحرص مذموم في الدنيوي وسمي انشار
الله تعالى وان لم يكن في النعمة صلاح لصاحبها بل فساد ومعصية فاردت زوالها
عنه او عدم وصولها اليه فذلك ناش من غيرة المومن لله تعالى مندوب اليه خ
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يغار وان
المومن يغار وان غيرة الله تعالى ان لا ياتي المومن ما حرم الله تعالى والغيرة الحاصل

في الاصل كراهية مشاركة الغير في حق من الحقوق وغيرة الله تعالى منعه عبده من الاقدام
على الفواحش لان فيه مشاركة الله تعالى بان يفعل ما يريد من غير تقييد بامر ونهي وغيرة المؤمن
لنفسه هيجان انزعاج من قلبه يحمله على منع التحريم من الفواحش ومقدماتها لان فيه
كراهة الاشتراك وهذه واجبة م عن ابي هريرة رضه انه قال سعد بن عبادة رضه يا رسول الله
لو وجدت مع اهلي رجلا لم امسه حتى اتي باربعة شهداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم قال كلا والذي بعثك بالحق ان كنت لاعاجله بالسيف قبل ذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اسمعوا الى ما يقول سيدكم انه لغيور وانا اغير منه والله تعالى
اغير مني وفي رواية خ قال صلعم اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير
مني لا احد اغير من الله عز وجل ومن ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد
يطلق الغيرة على كراهية المرأة اشتراك الغير في بعلها وهذه مذمومة م عن عائشة رضها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من عندها ليلا فغرت عليه فجاء فرأى ما اصنع
فقال ما لك يا عائشة اغرت فقالت وما لي لا يغار مثلي على مثلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد جاءك شيطانك قالت يا رسول الله اومعي شيطان
قال نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن اعانني الله تعالى عليه حتى اسلم
وغيرة المؤمن لله تعالى كراهية المعصية وما لا يحبه الله تعالى وهذه واجبة م عن
تميم الداري رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة قلنا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم طب عن حذيفة رضه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لا يهتم بامر المسلمين فليس منهم ومن
لم يصبح ويمسي ناصحا لله عز وجل ولرسوله ولكتابه ولامامه ولعامة المسلمين
فليس منهم المبحث الثالث في غوائل الحسد فمنه يعرف العلاج الاجمالي وهي ثمانية
الاول افساد الطاعات د عن ابي هريرة رضه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد

فان الحسد ياكل الحسنات كما ياكل النار الحطب او قال العشب والمراد اكل الاضعاف
اذ لا حبط بالمعاصي عند اهل السنة او تاديته الى الكفر من زبير رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة اما
اني لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى
تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على ما تحابون افشوا السلام بينكم والثاني
الافضاء الى فعل المعاصي اذ لا يخلو الحاسد عن الغيبة والكذب والسب والشماتة
عادة طب عن ضمرة بن ثعلبة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس
بخير ما لم يتحاسدوا والثالث حرمان الشفاعة طب عن عبد الله بن بسر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ليس مني ذو حسد ولا نميمة ولا كهانة ولا انا منه ثم تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذين يؤذون المؤمنين الاية والرابع دخول النار ديلمي عن ابن عمر
وانس رضي الله عنهما انه قالا قال عليه السلام ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل
يا رسول الله من هم قال الامراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالكبر
والتجار بالخيانة واهل الرستاق بالجهل والعلماء بالحسد والخامس الافضاء الى
اضرار الغير فلذا امر الله عز وجل بالاستعاذة من شر الحاسد وقال عليه السلام استعينوا
على قضاء الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود خرجه طط في الدنيا عن معاذ رضي الله عنه مرفوعا
والسادس التعب والهم من غير فائدة بل مع وزر ومعصية قال ابن السماك
لم ار ظالما اشبه بالمظلوم من الحاسد نفس دائم وعقل هائم وغم لازم والسابع
عمى القلب حتى يكاد لا يفهم حكما من احكام الله تعالى قال سفيان رضي الله عنه لا تكن حاسدا
تكن سريع الفهم والثامن الحرمان والخذلان فلا يكاد يظفر بمراده وينصر على
عدوه فلذا قيل الحسود لا يسود المبحث الثالث في العلاج العلمي والعملي الاول
ان تعلم ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود فيهما

فيهما بل ينتفع به فيهما اما ضرره لك في الدين فلانك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى و
كرهت نعمته التي قسمها لعباده وعدله واستنكرت ذلك وغششت رجلا
من المؤمنين وتركت نصحه والغش حرام والنصيحة واجبة واما في الدنيا فغم وحزن
وضيق نفس واما انه لا ضرر على المحسود فيهما فظاهر لان النعمة لا تزول عنه بحسدك
ثم لا اثم به واما انتفاعه في الاخرة فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد
الى القول او الفعل بالغيبة وهتك ستره والقدح فيه ونحوها فهذه هدايا
تهديها اليه فينتفع بها في الاخرة واما في الدنيا فلان اهم اغراض الخلق مسارة
الاعداء وغمهم وعلاج العمل ان يكلف نفسه نقيض مقتضاه فان بعثه على القدح
فيه كلف لسانه المدح له وان على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه
وان على كف الانعام عليه الزم نفسه الزيادة في الانعام وان على الدعاء عليه دعا له
بزيادة النعمة التي حسده فيها المبحث الرابع في العلاج القلعي وهو يحتاج الى
معرفة اسبابه ثم ازالتها وهي ستة الاول التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه
غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو
لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتفاخره عليه فليس غرضه ان يتكبر عليه
بل غرضه ان يدفع كبره ويرضى بمساواته وزيادته عليه من غير تكبر فان اراد عدم
وصوله الى تلك النعمة او زوالها مقيدة بالافضاء الى الكبر فليس بحسد تام وان
مطلق فحسد لعدم التيقن بالفساد وامكان التقييد والثاني في التكبر فانه
من في طبعه التكبر على اقرانه واستصغاره واستخدامه فاذا نال نعمة خاف ان
يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته وخدمته فيريد زوالها وعلاجه سبق والثالث
سببية نعمة الغير لفوت مقصوده وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد
فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة يكون زوالها عونا له في الانفراد بمقصوده

فهذا الحسد يكون بين الامثال والاقران كالضرات والاخوة يقصدون المنزلة
في قلب الزوج والابوين وتلامذة استاذ واحد ومريدي شيخ واحد وندماء الملك
وخواصه ووعاظ بلدة واحدة وطلاب ولاية وقضاء وتدريس وتولية اوقاف
او جهة من جهاتها وماله حب المال والرياسة والرابع مجرد حب الرياسة كمن
يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون ويغلب عليه حب الثناء فاذا سمع
بنظير له في اقصى العالم ساءه ذلك واحب موته وزوال النعمة التي بها يشاركه
في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او صناعة او جمال او ثروة والخامس خبث
النفس وشحها بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر وطلب مال
فاذا وصف عنده حسن حال عبد في نعمة يشق عليه ذلك واذا وصف له
اضطراب امور الناس وادبارهم وفوات مقاصدهم فرح به فهو ابدا يحب
الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله على عباده الذين ليس بينهم وبينه عداوة و
لا رابطة وهذا اخبث الحسد واعسر ازالة وعلاجا لانه طبع وجبلة بالعادة يستحيل
في العادة زواله والسادس الحقد وهو السادس عشر من افات القلب وفيه
ثلث مقالات المقالة الاولى في تفسيره وحكمه وهو ان يلزم نفسه استثقال احد والنفار
عنه والبغض له وارادة الشر وحكمه ان لم يكن لظلم اصابه منه بل بحق وعدل كالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر فحرام وان كان فليس بحرام فان لم يقدر على اخذ الحق
فله التاخير الى يوم القيمة والعفو وهو افضل قال الله تعالى وان تعفوا اقرب
للتقوى خذ العفو والعافين عن الناس وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم م ت عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة
من مال وما زاد الله تعالى عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله عز وجل
وان قدر فله العفو ايضا وهذا افضل من العفو الاول والانتصار اي استيفاء حقه

الحقد

حقه من غير زيادة وهو العدل المفضول لكن قد يكون افضل من العفو لعارض مثل
كون العفو سببا لتكثير ظلمه والانتصار لتقليله او هدمه او نحو ذلك وان زاد فجور
وظلم قال الله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل الى الامور و
لا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا المقالة الثانية في غوائله وهي احد عشر الاول
الحسد والثاني في الشماتة بما اصابه من البلاء اي الفرح والسرور والضحك وهي السابع
عشر من افات القلب ت من واثلة بن الاسقع رضه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله تعالى ويبتليك فالفرح بمصيبة العدو مذموم
جدا خصوصا اذا حملها على كرامة نفسه واجابة دعائه بل عليه ان يخاف ان يكون
مكرا له ويحزن ويدعو بازالة بلائه وان يخلفه الله تعالى خيرا مما فات الا ان يكون
ظالما فاصابه بلاء يمنعه من الظلم ويكون لغيره من الظلمة عبرة دلها لا فقد فرح بزوال
الظلم والثالث هجره وعداوته وهو الثامن عشر من افات القلب د من ابي هريرة رضه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل لمومن ان يهجر مومنا فوق ثلثة فاذا مرت
ثلث فليلقه وليسلم عليه فان رد عليه فقد اشتركا في الاجر وان لم يرد عليه فقد
باء بالاثم وزاد في رواية فمن هجر فوق ثلث دخل النار وهذا محمول على الهجر
لاجل الدنيا واما لاجل الاخرة والمعصية والتاديب فجائز بل مستحب من غير تقدير
لوروده عن النبي عليه السلام والصحابة والرابع استصغاره وهو التكبر وقدمر
والخامس افضاره الى الكذب عليه والسادس الى غيبته والسابع الى افشاء
سره والثامن الى الاستهزاء به والتاسع الى ايذائه بغير حق او اكثر منه والعاشر
الى منع حقه من صلة رحم وقضاء دين ورد مظلمة والحادي عشر منعه من مغفرة
صاحبه طط عن ابن عباس رضه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من
من لم يكن فيه واحدة منهن فان الله تعالى يغفر له ما سوى ذلك لمن يشاء من